أبو عبد الرحمن ذو الفقار

مشايخ الصوفية

الانحراف التربوي والفساد العقدي

(عبد السلام ياسين أستاذا ومرشدا)

تقديم الشيخ المحدث:
أبي أويس محمد بوخبزة الحسني

الطبعة الثانية

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

أبو عبد الرحمن ذو الفقار

مشايخ الصوفية

الانحراف التربوي والفساد العقدي

(عبد السلام ياسين أستاذا ومرشدا)

تقديم الشيخ المحدث:
أبي أويس محمد بوخبزة الحسني

الإيداع القانوني: 2005/1758

الطبع : طوب بريس، هـ: 21 31 73 037 - الرباط

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

قال الحسن أبو محمد البربهاري : "مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكنوا؛ لدغوا. وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون"

طبقات الحنابلة 77/3 طبع الأمانة العامة

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

::::>>> www.khorafa.org <<<::::
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الشيخ الفاضل:

أبي أويس محمد بو خبزة الحسني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

زارني الأستاذ الفاضل الأثري أبو عبد الرحمن بلعويدي، منذ أيام ودون سابق معرفة، وقدم إلي كتابه **"مشايخ الصوفية: الانحراف التربوي والفساد العقدي، عبد السلام ياسين أستاذا ومرشدا"** هدية مشكورة، راجيا مني أن أقرأه وأقدم له، فشكرت له مبادرته وهديته، ووعدته خيرا وأنا أقول في نفسي: ماذا يقول هذا الأخ في أوراقه هذه وقد تعددت الردود المفردة وفي مختلف الصحف وتناولت الرجل من جوانبه، وأدانته بعجائبه وغرائبه؟ فلم يزده ذلك إلا تصميما على ما هو عليه وإيغالا في ظلامه، وإصرارا على دعاويه كما هو معلوم، **وقد قرأت جل ما كتب في الموضوع، إلا أني بعدما أخذت كتاب الأخ وأخذت أقلب أوراقه، وجدتني أمام بحث جاد موضوعي، أجاد صاحبه فهم ما يبحث فيه، مستخدما مصادر المردود عليه، ضاربا أولها بآخرها، وآخرها بأولها، متتبعا صنيع الشيخ كاشفا عن سوء فهمه لكثير من النصوص التي حسبها له، وهي عليه، وعن عبثه بها بترا ومسخا وليا للأعناق، ومقررا في نفس الوقت للحق الواجب اعتقاده في عقائد المتصوفة وعوائدهم وأهوائهم وشطحاتهم.** والمغرب كان كسائر بلدان المسلمين مع الأسف، مما اكتسحه تيار التصوف والانحراف منذ الفتح فقد كان مسرحا للخوارج والشيعة والبرغواطيين والوهبية، وغيرها من النحل والملل، التي وجدت فيه تربة خصبة ساعدت على سرعة نموها وانتشارها ورسوخ جذورها لما يغلب على أهله من سذاجة وجهالة، فلا غرو أن يجد المتنبئون الكذبة منهم حواريين يؤمنون بترهاتهم ويناصرونهم، وما خبر حاميم الغماري منا ببعيد. ومبدأ الأمر بعد انصرام القرون المشهود

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لها بالخير واتساع الفتوح الإسلامية ودخول الأجانب في الإسلام وما واكب ذلك من وفود الأفكار والفلسفات المنحرفة بترجمة الكتب وفسح المجال لأصحابها لبثها ونشرها بين الناس، على حساب تعاليم الإسلام الطاهرة، وعقائده الواضحة النيرة المنسجمة تمام الانسجام مع الفطر السليمة والعقول المستقيمة. وأمام هذا الزحف المخيف، انخزل جماعة من أهل الزهد الصحيح والورع الصادق خوفا على أنفسهم من ذلك البلاء الماحق فانزووا في دويرة بالبصرة كانت نواة ما ابتدع بعد من زوايا وتكايا وربط، والتابعون متوافرون ولم ينكروا عليهم بل كان معظمهم من تلاميذ الحسن البصري وأقرانه، ولم يدر بخلدهم يومه أن سيكون صنيعهم هذا تكأة للكسالى والمنحرفين ومنطلقا للدساسين والمجرمين من حملة أفكار الاتحاد والحلول ووحدة الوجود التي يبرأ منها الإسلام براءة الذئب من دم ابن يعقوب، هذا في القرن الثاني وفي المشرق العربي. وفي القرن التالي وفي المغرب العربي تجلى هذا الاتجاه في مسجد السبت بالقيروان، إلا أن هذا كان نظيفا نوعا ما. يعتمد أكثر ما يعتمد على العمل والمجاهدة مما سمي بعد بالتصوف السني، ومن هناك انتشر فدخل الأندلس والمغرب، ويتجلى هذا في سير الصالحين والعباد ممن ترجم لهم المالكي في رياض النفوس، والتميمي في المستفاد، والتادلي في التشوف، والبادسي في المقصد الشريف. وقلما يعثر الباحث في تراجمهم على شطح مريب أو فكر غريب، اللهم إلا المبالغة في التعبد والمجاهدة، والإفراط في الزهد والإعراض عن الدنيا، الذي أفرزه تنكب الهدي النبوي والسنة المحمدية، وبعد ذهاب دول المغرب القوية، وسقوط هيبته وتكالب الأعداء على المسلمين في حروب الاسترداد بالأندلس. راجت دولة الخرافة ونبغ الدجالون، وتكاثرت الزوايا والتعلق برجال الغيب. والعدو ينقص المغرب من أطرافه، ويحتل مدنه وقراه، ومشايخ الطرق يغنون ويرقصون ويبشرون بالأوهام، الناتجة عن الرؤى في المنام موهمين أن ما وقع كان باتفاق أهل الله في ديوانهم الموهوم، وأن لا مفر منه وأن من اعترض يتعرض للعطب، وقد قال ابن عطاء - وهو من كبار منظريهم- في كتابه الحكم الذي قيل فيه: لو صحت الصلاة بغير القرآن لصحت به: «ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهر الله فيه» ونعود إلى كتاب (مشايخ الصوفية) فنقول: من عجيب أمر الشيخ ياسين الذي لم يتانوله الرادون عليه، أن أحد الصحفيين كتب في صحيفة كبرى بالمغرب منذ شهور يقول بأن الشيخ ياسين غير اسمه وأن ملفه في التعليم مازال محفوظا، ونقل منه مباشرة، وقال أنه فعل هذا ليتم له الانتساب إلى البيت النبوي! وحدثني الأستاذ الكبير

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

السيد أحمد الشرقاوي (إقبال) المراكشي رحمه الله، وكان له مزيد اتصال بالشيخ، أنه سأله وقت افتتانه بالتقدم الأروبي أنه لو خير بين الجنة وأمريكا ماذا يختار؟ فأجاب أمريكا. والعجب أن هذا الغلو والانبهار بالحضارة الأوروبية استوجب عقوبة من الله برميه في أحضان التصوف الفلسفي، وعقوبة الذنب إن لم يتب منه: الوقوع في ذنب آخر أكبر منه كما هو مقرر. فلم يلبث ياسين المفتش بمصالح التعليم، والمأخوذ بسحر التقدم التكنولوجي، أن انطرح على أعتاب شيخه عباس البودشيشي الذي سلب إرادته وخرق له الحجب، فانطلق المريد يبشر بدولة العرفان والولاية، ويصدر الكتب مصرحا فيها بوصوله إلى السر، وأنه لم يعد يحتاج إلى واسطة، بل هو يستقي مما يستقي منه كبار الأقطاب والعارفين. ولم يتورع أن يحكم على جميع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي بالفشل، لأنها لم تقع على الكنز الذي وقع عليه، وهو معرفة صاحب الوقت المتصرف في الكون، واقتفاء أثره، ولم يستثن الإخوان المسلمين رغم تصوف المرشد حسن البنا وإعلانه بذلك. ولج ياسين في التخريف والهذيان ودعوى رؤية الملائكة والنبيﷺ، واللوح المحفوظ والدفاع عن أقطاب الاتحاد والحلول ووحدة الوجود، التي هي قمة الكفر والجحود، ولم ينس أن يتناول أئمة السلف وحملة الحديث ودعاة الحق بالوقيعة والتثريب، زاعما أنهم لم يذوقوا ما ذاقه هو ومشايخه من المعارف والأسرار. وفي الوقت نفسه يشيد – في سذاجة صبيانية – بالشيعة الروافض وجمهوريتهم الإسلامية!! وبعد وفاة شيخه الأثير انفصل الشيخ عن الزاوية، وقد اختلف في السبب، إلا أنه استقل بحركة سماها جماعة العدل والإحسان. وألف مجلس الإرشاد تحت رئاسته، وتعرض للحصار والأذى وكان هذا من أسباب (شعبيته)، فأقبل الناس عليه ولا سيما الشباب العاطل من العامة وأشباههم الذين قيل فيهم قديما: إن شئت جمعهم فزمر، أو شئت تفريقهم فشمر. ناهيك من شعب تغتال الأمية أكثر من نصفه. وقد حدثني أحد أعضاء جمعيته الذي انفصل عنها منذ ثمان سنوات، أنه كان يدفع لحساب الجمعية خمسين درهما وهناك من يدفع أكثر مشاهرة، وأكد لي أن أنصار الجماعة يتجاوزون المليون. ومعنى هذا أن مجلس الإرشاد يحبى من هؤلاء الأغرار عشرات الملايين من الدرهم، ولا نرى من آثارها إلا مؤلفات الشيخ التي هي ضرر محض، ومعلوم أن أحد أعضاء المجلس كان أعلن انتقاده للشيخ على شطحه الممجوج في مؤلفاته، نصح له بالرجوع للجادة والعمل بما ينفع الناس، ونشر ذلك شعرا ونثرا، فلم يكن من الشيخ إلا أن فصله من الجماعة، ومن عجائب المقدور أن العضو المفصول توفي إثر ذلك فجأة، وغير مستبعد أن

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يعد الشيخ ذلك من كراماته (شنشنة أعرفها من أخزم) وتلك عادة مشايخ الضلال في كل وقت وحين.

وبعد: فهذا كتاب مبارك إن شاء الله ينير الطريق أمام طالبي الحق ممن لم يتسمموا بسموم بدعة التصوف، وكانوا بمنجاة من التخدير بمخدر الطريق القاتل، وأنا على يقين بأنه لن يزيد الشيخ إلا فتنة وارتكاسا إن قدر له أن يقرأه، وهو ما أستبعده، **لأن من بلغ مبلغ الشيخ في (الولاية) يطل علينا من فوق ولا يرضى الحديث مع السوقة، ولن يتسع وقته – وهو يناجي الملائكة ويطالع اللوح المحفوظ ويتحدث إلى رسول الله ﷺ - أن يناقش المبطلين من (الوهابية) الضالين**، وإذا كان الأمر كذلك فليبشر الشيخ بإحرازه وصف الكبر الذي حدده الحديث النبوي الصحيح ببطر الحق وغمط الناس، والله ولي التوفيق، والهادي إلى أقوم طريق.

تطوان في رابع ذي الحجة 1423هـ

أبو أويس محمد بو خبزة الحسني

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ونبيه وخليله، أدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، فاللهم صل عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه أجمعين الهداة المهديين، وكل من تبع سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين. وأخص منهم حراس دينه أولئك المجاهدين المرابطين في الثغور بأسنتهم، والعلماء الذابين عن السنة بأقلامهم وألسنتهم. أما بعد:

فإن المطلع على كتب أهل السنة والجماعة، يعلم ضرورة أن الرد على أهل البدع والأهواء، والتصدي لسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة، هو أصل من أصول هذا الدين؛ كشفا لضلالهم، ودحضا لشبههم، وهتكا لأستارهم، ونقضا لباطلهم، وتطهيرا لسبيل المؤمنين من نجاسة فكرهم، حفاظا على عقيدة المسلمين، ودفاعا عن ملة أشرف المرسلين، وجهادا للمعتدين. بل ويلحظ – المتطلع الحصيف- أن هذا الجانب قد أخذ حيزا واسعا من مؤلفاتهم ومصنفاتهم، إلى درجة أنك لا تكاد تجد كتابا من كتب العقيدة السلفية، إلا ويشغل هذا الموضوع بابا من أبوابه، إن لم يكن قد ألف أصلا من أجله. فضلا عن تلك الكتب التي خصته بالبيـــان تقعيدا وتأصيلا، لما يستلزمه هذا الموضوع من مواقف عملية عند معاملتهم. وهذا كله تصديقا منهم وتحقيقا لقول الرسولﷺ:«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1]». حتى أضحى عندهم الرد على أهل البدع وشن الحرب عليهم نوعا من أنواع الجهاد. ورحم الله ابن تيمية حيث قال :(ومثل أئمة البدع أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل «الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى وصام واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فهو للمسلمين هذا أفضل»، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله. إذ تطهير سبيل الله

---

[1] - حديث حسن أخرجه الهيتمي في مجمع لزوائد، والمناوي في فيض القدير، وابن عبد البر في التمهيد.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ودينه ومنهاجه وشريعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء[1]). ولله در القائل:

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب

ولولا رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

ومن هؤلاء الذين أبوا إلا انتحاء طريق أهل الزيغ والضلال في هذا الزمان، ورفع لواء التصوف والبدعة. المدعو عبد السلام ياسين، فإنه نشط نشاطا كبيرا في إحياء ما أماته أهل الحق المبين من ضلال فكرهم وانحراف عقائدهم. والذي يقرأ كتبه؛ خاصة "الإسلام بين الدعوة والدولة"، و"الإسلام غدا"، و"الإحسان"، يجد نَفَسَ الرجل في الضلال قويا، غير أنه يجيد فن المغالطة والمكر والدهاء والاحتيال، مما يمنع القارئ العادي المبتدئ من إدراك موطن الخلل والخطر. فهي- أي كتبه- تعتبر معجما في بدع المتصوفة خاصة الغلاة منهم، لأنها جمعت ألوان ضلالهم وأشكال هذيانهم وصور انحرافاتهم، وأول ما يلاحظه القارئ من أوجه الشبه بين عبد السلام ياسين والمتصوفة الغلاة هو الأسلوب في الدعوة، فإنه برع في استعمال مصطلحاتهم وتفانى في توظيف ألغازهم دون أي إخلال بأصول مذهبهم.

والهدف من هذا البحث هو بيان استقلالية مذهب الصوفية عن غيره من المذاهب، وتوضيح خصائصه التربوية ومميزاته العقدية، التي تفصله عن باقي المذاهب بل الأديان بما فيها دين الإسلام.

أما الجانب التربوي عند الصوفية فقد تصدى لبيان فساده في شخص عبد السلام ياسين ودعوته ثلة من أهل العلم وطلبته، كل منهم رمى من قوسه في جانب أو جوانب من جوانبه نصحا للأمة، وكشفا لحاله.

أما الجانب العقدي وهو قطب رحى هذا البحث، فالغاية منه حقيقة هو معرفة مدى صلة الرجل بعقيدة القوم؛ أي المتصوفة الغلاة أمثال الحلاج،وابن عربي، والغزالي، والسرهندي... وخاصة تمجيده لهذه الطائفة وتعظيمه ودفاعه ونصرته لها أشهر من أن يذكر وأكثر من أن يحصر. وهذا مما يثير الشكوك حول عقيدة عبد

---

[1] - "مجموع الفتاوى": (ج 35 ص 414).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

السلام ياسين ومذهبه. فكل هؤلاء -وغيرهم كثير- ممن ذكر أسماءهم في كتبه أثر عنهم القول بوحدة الوجود. بل الذي ينفض الغبار عن وجهته، ويكشف الستار عن قبلته؛ نقله لأقوالهم وتعليقاته عليها وتقريراته لها، لا سيما عند مقارنة أقواله بأقوالهم. الشيء الذي لا يدع أدنى ريب في بزوغ الخرافه وزيغه.

ولولا خشية اغترار القراء به، والسقوط في شباك صيده، أو على الأقل إحسان الظن به، بسبب ما تتضمنه كتبه من مخادعات ومراوغات، تحبسهم عن إدراك مضمون ألفاظها -أي الكتب- وفحوى ومقتضيات ألغازها، لتفننه في إخفاء حقائقها على خفائها في أصلها. فلا أقل من أن ننبه على بعض مواطن ضلال عقيدته واعوجاج فكره[1] في كتبه، خاصة كتاب"الإحسان 2".

أما مريدوه فنرجوا الله أن يفك أسرهم، ويخلص أمرهم، ويعتق رقابهم من تحكم هذا الرجل في زمامهم واستعباده لقلوبهم. فهم لا يردون له قولا، ولا يناقشون له رأيا، خشية مقته وسخطه، وطمعا في رضاه وعفوه، والشرط في هذا كما هو معلوم عندهم من كتبه: "إسلاس القياد".

هذا وقد حرصت في هذا البحث على بيان المراد الحقيقي من بعض مصطلحاتهم وكشف معاني ألفاظهم، خاصة تلك الألفاظ التي استعان بها عبد السلام ياسين على ستر عقيدته، وذلك كلفظ "المعرفة" و"الفرق" و"الفناء" و"الجمع" و"البقاء"... مستعينا في كل هذا بأقواله وأقوال أشياخ مذهبه وأعلام فكره. ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول، والله يعلم أعمالكم﴾[2].

وقد جعلت هذا البحث في فصلين:

الأول يدور موضوعه حول الجانب التربوي عند الصوفية. والثاني يدور موضوعه حول الجانب العقدي. وكل واحد منهما ضمت طياته أربع مباحث.

سائلا ربي الأعز الأكرم، أن يعزني ويكرمني بالثبات على هدي السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

أبوعبد الرحمن ذو الفقار بلعويدي

---

[1] - وهذا من غير تتبع أو استقصاء لأماكن زلله وانحرافه - وما أكثرها - كمسألة شد الرحال، والرؤية في اللوح المحفوظ، والمهدوية، وتصرف الأولياء بعد موتهم، وذكر الله بالإسم المفرد، ورؤية النبيﷺ في اليقظة!

[2] - (سورة محمد: الآية29)

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الفصـل الأول

- **المبحث الأول:** مصطلحات الصوفية بين علم الشريعـة وسـر الحقيقة.
- **المبحث الثاني:** مناقشة مفهوم العارف بالله عند الصوفية.
- **المبحث الثالث:** الصحبة عند الصوفية تربيـة أم ربوبية؟
- **المبحث الرابع:** مفهوم التأدب والاحتـرام، عند الصوفية خدمة أم عبودية؟

يقول ذو النون المصري:

« ليس مريدا البتة من لم يكن أطـوع لأستاذه من ربه »

انظر: "الصلة بين التصوف والتشيع"

ص:(363 –436)

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الأول

مصطلحات الصوفية

بين علم الشريعة وسر الحقيقة

إن التصوف فكرا وعقيدة وتوجها لا يخلو زمان من شيوخه وأعلامه ودعاته الذين يتبنونه ويدافعون عنه باستماتة قلب. وقد فرض لنفسه إطارا مستقلا يميزه عن غيره في أصوله المنهجية وقواعده التربوية وأسسه العقدية. حتى اللسان واللغة التي يستعملها رواده والتي تعتبر في أصلها المخرج الوحيد للتعامل والتواصل والتجاوب مع باقي الأطراف تباين لسان ولغة غيرهم. ولهم عبارات واصطلاحات تميزوا وتفردوا بها في كتاباتهم، ولا توجد في الغالب إلا فيما بينهم، ولا يتداولها إلا هم، إذ يرمزون بها لشيء يريدونه في سلوكهم إلى أن صارت علما على طريقتهم.

يقول القشيري في معرض كلامه على المتصوفة: «وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن يشيع استعمالها في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله قلوب قوم، واستخلص لحقائقها أسرار قوم[1]».

ومثله ورد عن الطوسي في اللمع: « ولهم في حقيقة التوحيد لسان آخر، وهو لسان الواجدين، وإشاراتهم في ذلك تبعد عن الفهم، نحن نذكر من ذلك طرفا كما يمكن شرحه، وهذا العلم أكثره إشارة لا تخفى على من يكون أهله[2]».

وقال السهروردي في "عوارف المعارف": «فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها، وإشارات يتعاهدونها، فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان

---

[1] - "الرسالة القشيرية"، لعبد الكريم القيشري: ص 52.ط دار أسامة بيروت.

[2]-"اللمع" لأبي نصر السراج الطوسي. (ص: 51)، بتحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يعرفونها تعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف عن السلف، حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان[1]».

فالملاحظ والمستفاد من هذه النقول أن النصيحة التي يتداولها القوم خلفا عن سلف هي كتمان سر، وذلك بعدم التوضيح والإفصاح، وترك الكلام ألغازا ورموزا وإشارات، حتى لا يفهمه ولا يقف على حقيقته إلا أهل طريقهم، وهذا كله بقصد وتخطيط مسبق لمنع الدخيل بينهم من معرفة ما هم فيه حفظا لأسرارهم.

هذه الاستقلالية في الأسلوب وهذا الاستئثار في التفسير لمعاني الألفاظ ومضمونها، جعل علمهم يأخذ طابعا خاصا يميزه عن العلم الشرعي المتداول بين أهل الشريعة من فقه وحديث وتفسير وأصول فقه ولغة؛ إذ صار العلم عندهم – أي المتصوفة – علمين:

- علم الظاهر الذي يقال له علم الشريعة، وهو القاسم المشترك بينهم وبين غيرهم.

- علم الباطن وهو خاص بهم لا يدركه إلا من تربى في أحضان شيوخهم، وهو الذي يطلق عليه عندهم العلم اللدني، أو علم الحقيقة؛ إذ خاصية هذا العلم – كما يزعمون – تكمن في أنه علم يؤخذ عن الله بلا واسطة.

يقول الغزالي: «كان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظ صار جاهلا، إنما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه أي وقت شاء؟ بلا حفظ ولا درس، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة ﴿ وعلمناه من لدنا علما﴾ مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا، بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف[2]».

ويقول عبد السلام ياسين: «وتحدث القرآن الكريم عن الصحبة والاتباع وتصديق المتبوع، وتخصيص الله بعض أوليائه بالعلم اللدني وإطلاعهم على الغيب في قصة موسى والخضر عليهما السلام[3]».

---

[1] - "عوارف المعارف"، بهامش الإحياء:(ج 1 ص 303).

[2] - "إحياء علوم الدين"، لأبي حامد الغزالي. (ص: 33/3). بتخريج العلامة زين الدين أبي الفضل العراقي.

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة"، (ص: 365).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ويقول أيضا في كتابه "الإحسان 2": «.. أخبرنا الله عز وجل أن موسى رحل مع فتاه، بوحي من الله، ليلقى﴿عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾.

بقية القصص الحق تدل على أن من عباد الله، من يعلمهم الله من عنده، ومن ينصبهم معلمين لعباده -إلى قوله -... في قول الله عز وجل﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ مستمسك القائلين بالعلم اللدني، مستمسك ومرجع للمصطلح، أما المصطلح عليه فعطاء من الله عز وجل لا يد لأحد فيه، و﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾.

وفتح الله لأوليائه خبر متواتر على مر الأجيال، ينكره من جهل ويجحده من حرم[1]».

إن المتصوفة عند عرضهم لقول الله تعالى﴿ وعلمناه من لدنا علما[2]﴾ يشيرون إلى أن هناك علما خاصا خص الله به بعض أوليائه الذين هم دون الأنبياء، كما خص الخضر بعلم دون موسى عليه السلام، يمدهم – الأولياء – به مباشرة من غير واسطة رسل عليهم السلام. وإلى هذا يشير أبو يزيد بقوله « أخذوا علمهم- ميتا عن ميت(إشارة منه إلى علم السند)، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت».

وهو غلط فاحش وفهم للآية بمحض الهوى والتشهي يتهاوى أمام الأدلة والبراهين النقلية والعقلية. فقياس الأولياء على الخضر منقوض من أساسه، إذ الخلاف الحاصل بشأن الخضر إنما وقع في النبوة لا في الولاية، والمسألة فيها قولان، أصحهما عند أهل العلم أنه نبي. والدليل عليه ما أجرى الله تعالى على يديه من آيات معجزات.

فمثلا قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا[3]﴾.

فالآمر والمريد في الآية هو الله سبحانه وما الخضر إلا عبد من عباد الله، ممتثل لمراده ومنفذ لأمره، بعد اطلاعه على بعض الغيب، وهذا لا يكون إلا

---

[1] - "الإحسان 2 "، (ص: 12).

[2] -(سورة الكهف ، الآية 64).

[3] -(سورة الكهف ، الآية 84).

لنبي من أنبيائه، يقول الله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا... [1]﴾. وإلا فقل لي بربك هل يستطيع أن يقوم ولي من الأولياء بمثل ما قام به الخضر من خرق وقتل وما أشبه ذلك، ثم يعتذر لنا بمثل اعتذار الخضر عليه السلام، حيث يقول لنا ﴿فأراد ربك﴾ أو يقول: ﴿وما فعلته عن أمري﴾. هل يكون هذا الاعتذار مقبولا منه؟

فما تعلمناه من فقهائنا أن الضمان والقصاص هاهنا لازم؛ لأن الإتلاف كان عن قصد وبغير ما سبب موجب لما فعله.

- ثبت في صحيح البخاري عن النبيﷺ في حديث طويل أخبر أن موسى والخضر عليهما السلام لما التقيا، قال الخضر لموسى: «إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه».

وهذا معناه أن الخضر -عليه السلام- كان على علم لم يكن لموسى عليه السلام حظ فيه، وكذا الأمر بالنسبة لموسى، مما يدل على أن كلا منهما كان نبيا من الأنبياء. وإلا فهل يستطيع أن يدعي ولي من أولياء الله أنه على علم لم يعلمه رسول اللهﷺ، شأنه مع النبي عليه الصلاة والسلام كشأن الخضر مع موسى، وهذا ممتنع، ولو جاز لحصل للصحابة مع رسول اللهﷺ وهم خير القرون بعده وعدم حصوله دال على بطلانه.

فإذا امتنع هذا الأمر امتنع بالضرورة أن يكون الخضر وليا دون أن يكون نبيا، لامتناع أن يكون الولي على علم لا يعلمه النبيﷺ.

إن منحى ياسين في الفهم هو عين منحى كل أسلافه من المتصوفة وذلك لإقناع العامة من الناس بأن الأولياء خصوا بعلم من لدن الله، يتعلمونه منه بلا واسطة، إذ هو منه سبحانه إليهم مباشرة كما زعم البسطامي في القول المنقول عن الغزالي سابقا.

وهو بهذا يؤكد مذهب المتصوفة في كتابه "الإحسان2"، حيث يقول تحت عنوان: "العلم علمان": « أخرج البخاري في صحيحه في كتاب العلم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (حفظت من رسول اللهﷺ وعائين من العلم: فأما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع البلعوم). قال الحافظ ابن حجر

---

[1] - (سورة الجن: الآية 26-27).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

في شرح هذا الحديث:« حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبييـن أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم كقوله:أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، يشير إلى إمارة اليزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين للهجرة» وقال: قال ابن المنير: (جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين).

قلت – القائل ياسين – ولا يزال الخلاف في فهم حديث أبي هريرة قائما بين الصوفية وبين أهل الحديث، الصوفية يستدلون به على وجود علم خاص علمه رسول اللهﷺ بعض أصحابه أمثال حذيفة وأبي هريرة دون بعض، يتعلق بما يسمى " **علم الحقيقة** " والمحدثون يسدون هذه الذريعة وينكرون هذا التفسير مخافة أن يدخل على الدين ما ليس منه كما فعل الباطنية الكفار الذين تأولوا الدين من أوله إلى آخره زاعمين أن ظاهر الشريعة قشر ولباب، وملهاة للعامة، وأن الحقيقة وراء مظاهر ما يتلى وظواهر ما يفعل[1]».

انظر رحمك الله كيف حاد ياسين بمريديه وقراء كتبه عن فهم ابن حجر لحديث أبي هريرة، محاولا إقناعهم بأن المسألة خلافية بين أهل التصوف وأهل الحديث، متجاهلا أن مذهب أهل الحديث هو مذهب أهل السنة والجماعة، والمخالف لهم هو مخالف لأهل السنة والجماعة وهذه مغالطة منه.

يقول ابن تيمية: (وكثير من هؤلاء الزنادقة والجهال: قد يحتج على ذلك بحديث أبي هريرة[2]، حفظت عن رسول اللهﷺ جرابين: أما أحدهما فبثثته فيكم، أما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا الحلقوم.وهذا الحديث صحيح، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين، ومعرفة الله وتوحيده، الذي يختص به أولياؤه.

ولم يكن أبو هريرة من كبار الصحابة، الذين يخصون بمثل ذلك – لو كان هذا مما يخص به – بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن، بين المسلمين، ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار.

---

[1] - "الإحسان 2": (ص: 9 - 10).

[2] - انظر رحمك الله - أيها القارئ – كلام ابن تيمية وكأنه يرد على عبد السلام ياسين مع بعد الزمن الذي يفصل بينهما. لتعلم عناد القوم واستكبارهم.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك، قال ابن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم، وتهدمون البيت وغير ذلك، لقلتم: كذب أبو هريرة، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها؛ لأن ذلك مما لا يحتمله رؤوس الناس وعوامهم.

وكذلك قد يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان[1]، وأنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، وحديث حذيفة معروف لكن السر الذي لا يعلمه غيره: هو معرفته بأعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك، ويقال أنهم كانوا هموا بالفتك بالنبي ﷺ؛ فأوحى الله إلى النبي ﷺ أمرهم فأخبر حذيفة بأعيانهم، ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة؛ لأن الصلاة على المنافقين منهي عنها.

وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة، أنه لما ذكر الفتن، وأنه أعلم الناس بها ، بين أن النبي ﷺ لم يخصه بحديثها، ولكن حدث الناس كلهم قال: «وكان أعلمنا أحفظنا».

ومما يبين هذا: أن النبي ﷺ كان عام الفتح قد أهدر دم جماعة: منهم عبد الله بن أبي سرح، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبايعه، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة، ثم بايعه. وقال: أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي، وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه ؟. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، هلا أومأت إلي؟ فقال: ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين. فهذا ونحوه مما يبين أن النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه، لا يظهر للناس خلاف ما يبطنه، كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضلال المتنكسة ونحوهم[2]).

تأمل أيها القارئ كلام شيخ الإسلام مع النظر ثانية في كلام ابن حجر وقبل أن تقابله بكلام ياسين اسمع له (أي لياسين) حيث يقول في نفس الكتاب:« للإمام أحمد السرهندي رسائل تحمل من أسرار الطريق ما لا تكاد تجد مثيلا ولا قريبا في كتب القوم. كتبها في حياته لخواص تلامذته....[3]» إلى أن يقول:«وقال رحمه الله– القائل هو السرهندي-:]لو أظهرت شمة من تلك المعاملة (أحد المقامات التي أتحفه بها ربه عز وجل في فتحه)[4] التي هي مربوطة

---

[1] - انظر رحمك الله - أيها القارئ – كلام ابن تيمية وكأنه يرد على عبد السلام ياسين مع بعد الزمن الذي يفصل بينهما. لتعلم عناد القوم واستكبارهم.

2 - "مجموع الفتاوى": (ج 2 ص 218 -219).

3 - "الإحسان 2" (ص: 240)

[4] - ما بين القوسين هو من كلام ياسين

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

بتلك الولاية قطع البلعوم وذبح الحلقوم. فإذا قال أبو هريرة (كما روينا عن البخاري في فقرة سابقة)[1] -رضي الله عنه- في إظهار بعض العلوم التي أخذها رسول اللهﷺ" قطع البلعوم " ماذا يقال في حق غيره! وقد جعل الله سبحانه غوامض الأسرار الإلهية بينه وبين أخص الخواص من عباده ولم يترك الأجانب محرومين من حواليها[قلت – القائل ياسين –:« الأجانب هم العامة المحجوبون، عسى أن يفتح لهم باب الطلب من شم بعض الأسرار فيما يقرأون [2]».

سبحان الله سر حتى على عامة تلامذته! نسأل ياسين ما هذا السر؟؟

أهو من الإسلام الذي جاء به الرسولﷺ وبعث به؟؟

أم هو علم خص الله به بعض عباده وأخفاه عن نبيهﷺ؟؟

فإن كان الأول، فباطل لأن الأصل في الإسلام التفصيل مع البيان وأكبر دليل على بطلانه قولهﷺ: «قد تركتكم على البيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك[3]».

وأما إن كان الثاني فليس من شريعة محمدﷺ في شيء، والمسلم في غنية عنه، لأنه أحد ثلاث: إما معصية أو بدعة أو كفر.

كل ما سبق يقود إلى نتيجة محققة وهي أن استعمال المصطلحات عند المتصوفة يوجب حملها على المعنى المؤدي للمطلوب عندهم وفق علمهم اللدني، وإلا ظل القارىء نائيا عن معرفة حقيقة مذهبهم...

فالكلمة عند أهل الشريعة هي الكلمة عند الصوفية واللفظ هو اللفظ، لكن المعنى المراد غير واحد، وهنا تكمن قوة السرية في مذهبهم.

فلماذا هذا الحرص على الأخذ بمسلك لا يزيد الشيء إلا غموضا؟!

وليت شعري كيف يمكن للباحث أن يقف على حقيقة ما أرادوا الاستئثار به عن غيرهم ؟

نعم. إن مفتاح ألغازهم وفهم معاني ألفاظهم متعلق بفهم حقيقة مصطلحاتهم ودراستها وذلك من خلال كتبهم المعتمدة ومراجعهم المعتبرة

---

[1] - ما بين القوسين هو من كلام ياسين.

[2] - "نفس المصدر": (ص: 240 – 241)

[3] - صحيح، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث 937.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ومعاجمهم الخاصة وذلك بالنظر فيما أجبروا على كشفه لأنفسهم ليتحقق البقاء لمذهبهم فهم بين متحفظ وجريء.

وبغير هذا يصعب الوقوف على مراد إشاراتهم ومطلوب رسومهم فمثلا كثيرا ما تجدهم يصطلحون فيما بينهم بـ: الشيخ المربي، حامل السر، الشيخ الكامل، صاحب الإذن، العارف بالله، الشيخ الواصل، الفيض، الفناء، البقاء، المعرفة، الارتقاء، الجمع، الفرق، الفتح، الكشف، الوجد، المشاهدة، التربية الإحسانية، الصحبة... إلى غير ذلك من المصطلحات- المشتركة والخاصة- التي تحتاج إلى وقفة أو وقفات.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الثاني

مناقشة مفهوم العارف بالله عند الصوفية

لا يظن القارئ أن كلامنا عن قوم قضوا نحبهم في غابر الزمان، وأشباح غاب طيفهم مع بعد الأيام، وإنما هو تصوف مدرسة لها امتدادها الفكري عبر كل العصور، بواسطة ممثليها لارتباطهم القوي بأصولها وقواعدها، فهم الحلقة التي تربط السابق باللاحق منذ نشوئها.

ومن أبرزهم في هذا العصر: سعيد حوى[1]، محمد إلياس[2]، سعيد رمضان البوطي[3]، أبو الحسن الندوي[4]، حسن البنا[5]، عبد السلام ياسين[6]...

ولما كان هذا الأخير هو رافع راية التصوف في بلادنا، والمروج له عبر مؤلفاته المنتشرة، فإننا نفرده بالدراسة، حتى يعرف القارئ نحلته على حقيقتها، ويدرك ما حوته كتبه من ذلك، لارتباط أسلوبه في الكتابة بأسلوب أسلافه المتصوفة، ارتباطا قويا، كتمانا وسرية، وتأصيلا وتقعيدا.

وليس المقصود هو استقصاء كل ما حوته كتبه من مصطلحات وألغاز، بل نختار منها ما غلب على أسلوبه، وصار ديدنا له في جل مؤلفاته.

---

[1]- انظر كتاب "مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم" للشيخ سالم الهلالي.

[2]- انظر كتاب "المورد العذب الزلال في ما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال" للشيخ أحمد بن يحيى النجمي. وكتاب: "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ" للشيخ حمود بن عبد الله التويجري.

[3]- أنظر كتاب "نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان من الهفوات" للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

[4]- أنظر كتاب "القول البليغ" السابق ذكره وهو للشيخ حمود التويجري.

[5]- انظر كذلك كتاب"المورد العذب الزلال في ما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال" وكتاب "رد الجواب على من طلب مني عدم طبع الكتاب" وكلاهما للشيخ أحمد بن يحيى النجمي. وكتاب "الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة" وهو للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. فإن فيها البيان الشافي والرد الكافي.

[6]- أنظر كتاب "الإحسان في اتباع السنة والقرآن لا في تقليد أخطاء الرجال" للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي. وكتاب "قيام الليل بين القيام الشرعي والرباط الصوفي" لأحمد حفو، إلى غيرها من الكتب التي تناولت عبد السلام ياسين للرد عليه وبيان اخرافه.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يكثر "ياسين " ذكر كلمة (**العارف بالله، والعارفين**) في أغلب كتبه وخصوصا (الإسلام بين الدعوة والدولة)، (تنوير المومنات)، (الإحسان)، كقوله: «والشعراني في كتبه ينصحك إن أردت التخلق بما يصفه لك من الفضل والفضائل أن تصحب شيخا مربيا **عارفا**..[1]».

وكذلك قوله: «أريد من أخت الإيمان أن تقرأ في كتاب مدارج السالكين وصفا لعلماء الآخرة العارفين بالله... مع الغزالي ومع أكابر مشايخ التربية، وهي أن العالم أمام العارف كالجاهل أمام العالم[2]».

فماذا تعني كلمة العارف عند هؤلاء القوم (الصوفية)؟

وما هو مدلول وحقيقة هذا المصطلح؟

وما هي ماهية هؤلاء العارفين وميزتهم عن باقي علماء ومجتهدي الأمة؟

وهل كلمة العارف عند الصوفية ترادف كلمة العالم بمعناها المتداول عند أهل السنة؟

وإذا كان الأمر كذلك فما سر هذا الفارق بين العالم والعارف، حتى صار العالم أمام العارف كالجاهل أمام العالم؟

يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي-كما سماه ياسين[3] على ملة أسلافه الصوفية من قبل-: «العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء[4]» الحق أي الله.

ويقول أيضا: «فمن رأى الحق فيه بعينه فذلك العارف[5]» أي بعين الحق.

ويقول عبد الكريم القشيري: «وعند هؤلاء القوم، المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته...ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله... وانقطع عن هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار

---

[1] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص: 353)، الطبعة الأولى: 1971/1342.

[2] - "تنوير المومنات": (291/1). الطبعة الأولى: 1996.

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص: 412)

[4] - "الفصوص" لابن عربي (ص: 192).

[5] - "الفصوص"،(ص: 195).نفس المصدر.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريا... وصار محدثا من قبل الله سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، ويسمى عند ذلك عارفا، وتسمى حالته معرفة[1]».

وينقل لنا القشيري قول ذي النون: «معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى، يحتملك ويحلم عنك تخلقا بأخلاق الله عز وجل[2]».

ويحدثنا عبد العزيز الدباغ عن حالة المعرفة فيقول: «إن الله تعالى لا يحب العبد حتى يعرفه به، وبالمعرفة يطلع على

أسراره، فيقع له الجذب إلى الله تعالى[3]».

ولنا أن نتساءل: من هذا الذي يجرؤ على ادعاء أن أخلاقه كخلق الله تعالى ومعاشرته كمعاشرته [4] سبحانه؟

والجواب أنه العارف بالمعنى الصوفي المحدث من قبل الله بلا واسطة، والمطلع على أسراره، فهو حامل السر لمعرفته سر الغيب، وصاحب الإذن الذي يرى الحق بعين الحق في كل شيء.

يقول ابن عجيبة: «فإذا تطهر-العارف- من الأغيار ملئ بالمعارف والأسرار فالمعارف هي العلوم، والأسرار هي الأذواق، فمن رآها وذاقها يقال له عارف ومن لم يصل لهذا المقام وكان من أهل الدليل يقال له عالم.[5]».

ويقول مصطفى العروسي: «العارف هو من أشهده الله ذاته وصفاته وأفعاله، إذ المعرفة حالة تحدث عن شهود، والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود، بل عن يقين مستند إلى دليل وبرهان، والعلماء بهذا المعنى هم العامة عند الصوفية[6]». يغلب على ظني أن القارىء أدرك حقيقة الفارق بين العارف والعالم، واتضح له المراد وزال عنه الإشكال وانكشف له لغز " العالم

---

1 - "الرسالة القشيرية":(ص 242).

2 - "الرسالة القشيرية":(ص 243).

3 - "الإبريز": (ص 217).

4 - لم يستعمل هذا الوصف في حق الله تعالى من قبل السلف. وإنما من صفاته سبحانه المعية وليس العشرة.

5- "الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية" (ص: 412)؛ دار المعرفة للطباعة والنشر.

6- "حاشية العروسي" بهامش نتائج الأفكار القدسية (ص: 1/8)؛ دار المعرفة للطباعة والنشر.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::
أمام العارف كالجاهل أمام العالم"؛ إذ أن العارف العالم عند الصوفية هو الذي حصل له العلم والمعرفة بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله شهودا ومشاهدة عيانية.

وأما العارف العالم بالمعنى المتداول عند أهل الشريعة فهو الذي حصل له العلم والمعرفة عن طريق الأدلة الشرعية والبراهين العلمية، من خلال الكتاب والسنة، استنباطا ومدارسة، لا عن شهود، وبهذا فهو عامي عند الصوفية بمنزلة الجاهل أمام العارف الصوفي.

يحدثنا ياسين عن حالة المعرفة حيث يقول: «أن رجال الله أهل الله أهل الطريق يتحدثون عن الفناء والبقاء. إذ أن العبد لا يعرف الله بنفسه، وأنما تتأتي له المعرفة إن فنى عن وجوده يقولون إن وجود الحادث الممكن حجاب عن الله، فإذا فنى العبد عن وجوده الحادث كان الله ولا شيء معه[1]».

هذه هي حالة المعرفة عند ياسين، إذ هي فناء وزوال عن الوجود، وذلك باضمحلال الكائنات مع وجودها حتى لا يشاهد شيئا غير الله، وهذا هو معنى قوله (كان الله ولا شيء معه).

يقول الغزالي: « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، ولكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذوقا وحالا، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستهوت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا، فلم يبق عندهم إلا الله...[2]».

تأمل الاتفاق الحاصل بين قول الغزالي: «فلم يبق عندهم إلا الله»، وقول ياسين: «كان الله ولا شيء معه».

فإذا اتفقت أيها القارىء معي على أن القولين قول واحد، ولا فرق إلا في تركيب المفردات تساءلنا معا عن معنى هذا الكلام؟

إن المعرفة عند القوم هي معرفة ألا شيء في الوجود إلا الله، وأن العارف بكل وضوح هو من بلغ مرتبة **أحدية الوجود**؛ أي إلى اعتقاد ألا وجود حقيقي إلا وجوده بالذوق والمشاهدة، وهذا ما يسمى بعقيدة وحدة الوجود.

---

[1]- "الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص: 393 – 394).

[2] - "مشكاة الأنوار": (ص: 12)؛ مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يقول الغزالي في إحيائه: «فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله، فهو الكل على التحقيق...[1]».

ويقول أيضا:« من هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله...[2]».

هذا هو الغزالي وهذا هو قول حجة الإسلام، بل وقول أكابر مشايخ الصوفية في معنى "العارف بالله" إذ هو عندهم من يرى الحق في كل شيء إذ هو كل الوجود، بل هو عين الوجود والموجود فهو الكل على التحقيق.

وهذا المعنى خلاف ما ذهب إليه ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "مدارج السالكين"، غير أن ياسين أورده بشكل يوهم القارئ بأنه على مذهب المتصوفة في التفريق بين العالم والعارف، وهذا منه تدليس فاحش يفتضح مباشرة بالنظر في صفحات الكتاب. لا سيما "فصل المعرفة"، حيث يبدو فيه بجلاء أن ابن القيم -رحمه الله- لا يخرج في تعامله مع الألفاظ عن مدلولها العلمي المشار إليه عند أهل السنة، لكن دون إغفال منه الاعتبار بلازم اللفظ وموجبه. مما جعله يطلق لفظ "العارف" على من قرن علمه بالعمل، ويحصر لفظ العالم فيمن لم يعمل بمقتضى علمه ولازم تحصيله. وذلك بقوله –رحمه الله-: "المعرفة عندهم هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده [3]". وعلى تحقيق هذا الأمر الذي هو العمل –وليس على ما يريد ياسين وأشياخه- كان التفاضل حاصلا في كلام ابن القيم بعلو رتبة العارف على العالم. فتنبه.

---

[1] - (ج 1: 396).

[2]- "مشكاة الأنوار":(ص:11).

[3] مدارج السالكين ج 3 ص: 316 دار الكتاب العربي.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الثالث

الصحبة عند الصوفية تربية أم ربوبية؟

بعيدا عن عقيدة وحدة الوجود إلى فصل قادم -إن شاء الله- نبقى مع هذه الشخصية الفانية عن وجودها، والتي يحدثنا عنها دائما الشيخ عبد السلام ياسين، وينصحنا بمصاحبتها وبعدد ألقابها؛ فالشيخ الكامل، والشيخ الواصل، وصاحب الإذن، وأستاذ التربية، وأولياء الله، وأهل الطريق، والمعلم المربي، والمتبوع المقدم، كلها أسماء لمسمى واحد وهو العارف بالله، اقرأ إن شئت فصل "التجربة الشخصية" من كتابه "الإسلام بين الدعوة والدولة[1]"، وستدرك هذه الحقيقة.

فالصحبة ذات التربية الإحسانية هي صحبة مشايخ التصوف الفانين عن وجودهم الباقين مع ربهم، المطلعين على سر الغيب أخذا عن الله بلا واسطة وذلك ببركة العلم اللدني.

يقول ياسين: «وتحدث القرآن الكريم عن الصحبة والاتباع وتصديق المتبوع وتخصيص الله بعض عباده بالعلم اللدني واطلاعهم على الغيب في قصة موسى والخضر عليهما السلام[2]».

ويقول أيضا: «السؤال الدائم: لماذا يضطر الفقهاء الصادقون لصحبة المشايخ؟

والجواب الدائم: إنها الولاية التي لا تكتسب بالدراسة والاطلاع بل بنور يقذفه الله جل وعلا في قلوب أصفيائه فيأتي من شاء الله له خيرا يقتبس من ذلك النور...[3]».

اقرأ هذا وتذكر قول البسطامي المنقول سابقا عن الغزالي: «... إنما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه أي وقت شاء؟ بلا حفظ ولا درس....بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف [4]».

---

[1] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص:339).

[2] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (364 – 365).

[3] - "الإحسان": (52/1) الطبعة الأولى 1998.

[4] - "الإحياء": (3 / 33).

فهذه هي حقيقة المصحوب لتتحقق الصحبة الإحسانية، وهي لا تعني إلا أن يكون للمريد ولطالب النجاة شيخ عارف وأستاذ مربي يسدد خطاه ويثق فيه ثقة تترجمها الطاعة المطلقة، إذ لا يظن بفعل شيخه إلا الحق، ولا يعتقد فيما يصدر منه إلا الصواب ولو كان الشيخ أميا- وهكذا يكونون في الغالب- والمريد عالما من أعلام الملة.

يقول ياسين: « ثم إن العبرة عندنا في انصياع عالم فقيه من أعلام الملة لشيخ"متبوع مقدم" يطيعه فيما يأمر بلا نقاش.[1]».

هذا هو سر القضية وقطب رحاها." الطاعة العمياء" لشيخ متبوع مقدم، إنها شخصية غريبة بكل ما حوته من خصائص وأوصاف، وذلك من خلال النظرة العلمية الموضوعية، الشيء الذي جعل المتصوفة يضعون حولها هالات من الخيال، تضخيما وتفخيما لحقيقتها في ذهن المريد، ليحصل المقصود، الذي هو إقناع المريد بإسلاس القياد وترك الاختيار والتخلي عن إرادة النفس ومراد العقل.

فالشيخ عند الصوفية وسيلة ترقى بالمريد إلى أن يصل إلى مرحلة المعرفة. والمريد ليس له حق الاستغناء عن خدمة الشيخ إلا إذا تولى الله سبحانه وتعالى تربيته.

ينقل لنا ياسين نصيحة عبد القادر الجيلاني حول هذا الأمر، إذ يقول: «فلا ينبغي له -المريد - أن ينقطع عن الشيخ حتى يستغني عنه بالوصول إلى ربه عز وجل، فيتولى تبارك وتعالى تربيته ويوقفه على معاني أشياء خفيت على الشيخ، ويستعمله فيما يشاء من الأعمال، ويأمره، وينهاه، ويبسطه، ويقبضه، ويغنيه، ويفقره، ويطلعه على أقسامه (ما قسم له من رزق[2]) وما سيؤول إليه أمره فيستغني بربه عن غيره [3]».

يقول ياسين بعد هذا القول مستحسنا له: «نصحوك، نصحوك. وعلموك إن كنت موضعا للتعليم[4]».

يا لها من نصيحة. ويا له من تعليم. ويالها من امتيازات!!

وكيف لا ؟ وأول امتياز أن يتولى الله تربيتك!!

---

[1] - المصدر السابق الاحسان 1 ص 52

[2] - كلام عبد السلام ياسين.

[3] - "الإحسان": (199 / 1).

[4] - المصدر السابق.

وآخر امتياز أن يطلعك على ما قسم لك من رزق وما سيؤول إليه أمرك!!

ولا تشغل بالك أيها القارئ بما هو بين هذا الامتياز وذاك، إلا أنه يجب عليك أن تتذكر دائما قول الله تعالى: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾[1]، وقوله تعالى على لسان رسولهﷺ: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾[2].

هذا الاطلاع المزعوم على أقسام الرزق والعلم بالمآل هو ما يطلق عليه عند الصوفية اسم الكشف والفيض والفتح، وهو بمعنى إدراك ما وراء العقل وذلك برفع الحجاب ومعرفة الغيب وأسرار العالم الروحاني وملكوت السماوات والأرض. ومخاطبة الذات الإلهية، أو تجليها في كل شيء.

يقول ياسين: «ويعلم من يقرأ كتب القوم أن الجيلي رضي الله عنه يكتب مواقفه مع الحق سبحانه، فيقول: خاطبني الحق، وسألت الحق فأجابني[3]».

إلا أنه لا مطمع لأحد في هذه المرتبة إلا إذا سلم نفسه بالكلية لشيخ عارف مأذون.

إنه شيخ لا ككل الشيوخ؛ فصحبته تغني عن صحبة غيره، وصحبة غيره ولو كان إماما علما من أعلام الملة لا تغني عن صحبته. وكيف تغني صحبة هذا العالم وهو مأمور بدوره أن يطيع ذاك الشيخ بلا نقاش.

فهذا ابن تيمية! يقول عنه عبد السلام ياسين: «ما فعل هذا ابن تيمية وإنما بدل الجهد، وهو الذكي الواسع الاطلاع، ليجمع أطراف الموضوع ويناظر ويحاجج، لكنه لقوة شخصيته لم يجلس إلى أحد يتخذه أستاذ تربية، ففاته من العلم ما لا يؤخذ عن السطور، وإنما يقتبس من الصدور التي نورها الله بنوره[4]».

ابن تيمية فاته علم كثير؟!

نعم فاته علم كثير كما فات كل أقرانه من أئمة الدين. ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[5].

---

[1] - (سورة لقمان: 34).

[2] - (سورة الأعراف: 188).

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة"؛ (ص: 362).

[4] - "تنوير المومنات":(280/1)، انظر الإحسان: (102/1)، مع اختلاف في الأسلوب.

[5] - (سورة الإسراء: الآية 85)

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لكن عن أي علم يتكلم ياسين؟

إنه العلم الذي لا يكتسب بالدراسة والاطلاع والحفظ والرحلة في طلبه ومكابدة المشاق في الوصول إليه وجمعه وتحريره.

إن عدد الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ابن تيمية أكثر من مائتي شيخ[1]. منهم: ابن عبد الدائم المقدسي وابن أبي اليسر، والمجد بن عساكر ويحيى بن الصيرفي الفقيه، وابن أبي الخير الحداد، والقاسم الأربلي، وشمس الدين بن أبي عمر، والمسلم بن عيلان وإبراهيم بن الدرجي، وزين الدين بن المنجا، وابن عبد القوي... وغيرهم.

أكثر من مائتي شيخ باختلاف علومهم الشرعية وتخصصاتهم العلمية لم يوجد بينهم ولو أستاذ تربية واحد عند عبد السلام ياسين!!

وكيف يوجد بينهم هذا الأستاذ وهو في مخيلة ياسين العارف بالله، وصاحب الإذن وحامل السر، ورافع الستر، وسيد الأولياء، ورئيس الأصفياء وشيخ المشايخ... فعلمه فوق كل العلوم ولو كان مثل عبد العزيز الدباغ الأمي كما وصفه هو نفسه[2].

يقول ياسين: «سيدي عبد العزيز حفظ في صغره حزب (سبح) فلما فتح الله عليه تتلمذ له العلماء وفسر لهم عويصات مسائلهم في الحديث والفقه وعلوم الشريعة الأخرى وعلوم الكون، وكانوا يقرأون عليه كلاما لا عهد له به فيقول: هذا قرآن، أو هذا حديث قدسي، أو حديث صحيح أو مكذوب...[3]».

ألم أقل لك أيها القارئ أن صحبة مثل هذا الرجل تغني عن صحبة غيره من أهل الشريعة، وصحبة غيره لا تغني عن صحبته ولو بلغت هذه الصحبة أكثر من مائتي شيخ!!

ألم تقرأ أنه يقرأ عليه كلام لا عهد له به، فيعلم أنه قرآن أو حديث، وبعد علمه، أنه حديث يعلم أنه صحيح أو مكذوب!!

عجبا، يعلم هذا كله من غير علم مسبق بعلم الرجال والأسانيد والعلل، وأصناف الحديث التي اختلف أهل العلم في قبولها، مثل: (التدليس والإعضال،

---

[1] - انظر كتاب "الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية"، تأليف الإمام مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي و(العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) لابن عبد الهادي بن قدامة المقدسي.

[2] - "أنظر الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص: 360 و409).

[3] - "المصدر السابق" (ص: 360).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

والاضطراب والإعلال، والنكارة والإرسال، والوصل والقطع، والوقف والرفع، وغير ذلك من علوم الحديث الغزيرة وفوائده العزيزة[1]).

فأين هي إذن مؤلفات القوم، أصحاب الفتوحات الربانية والكشوفات الرحمانية في هذا العلم -علم الحديث- وفق قواعد فتوحاتهم وأصول كشوفاتهم مقابل ما ألفه لنا علماء الحديث «ونقادهم في الرجال والعلل والأحكام، مثل: "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" للذهبي، والتهذيب للمزي، والعلل للدارقطني، وعلوم الحديث لابن الصلاح، وزين الدين العراقي[2]»وغيرها، حتى يوازن من أحب المعرفة بينها وبين هذه المؤلفات؟ وهذا الذي قيل لهم في علم الحديث، يقال لهم في العلوم الأخرى كذلك ونلزمهم به.

---

[1] - "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم"،لابن الوزير (1 /235).

[2] - "الروض الباسم": (236/1).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الرابع

مفهوم التأدب والاحترام عند الصوفية خدمة أم عبودية؟

صدق أو لا تصدق؛ إن سعادتك وشقاوتك في نظر ياسين رهينة بصحبة هذا الصنف من المشايخ وخدمتهم والصبر عليهم، وليس السعيد من قبل صحبة «الشيخ الواصل الكامل» فحسب، وإنما السعيد من قبله قلب الشيخ. فيكون أصل السعادة عندهم من كان مقبولا وليس من كان قابلا.

يقول ياسين: «من ظفر بالكنز العزيز، الشيخ الكامل المكمل، وحظي عنده بالقبول، فذاك عنوان سعادته، فليحرص على مخاللته، إذ الرجل على دين خليله، وذلك بالتوجه القلبي إليه، وبتعظيمه وتوقيره وتعزيره حتى تتشرب روحه من روحه ويستقي غصنه من جذوره. قال الأستاذ القشيري: وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته، ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين، وممن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ[1]». وانظر قول السرهندي في (الإحسان 2) حيث يقول: «للسالك **أن يعتقد سعادته في قبول شيخه له، وشقاوته في رده** نعوذ بالله سبحانه من ذلك. **وقد جعل الحق سبحانه رضاه تحت حجب رضى المرشد**[2]». وكذا قوله "وما لم يجعل المريد نفسه فانيا في رضى الشيخ لا ينال نصيبا من مرضاته سبحانه وتعالى"[3]

إنه كلام لا يحتاج إلى تعليق.

تخويف شديد وتهديد رهيب من أن يحرم المريد القبول في قلب شيخه، حيث لا ينجيه من الشقاوة إلا التوجه القلبي إليه (أي إلى شيخه) وإلا حرم سعادة نفسه. رحماك ربنا رسول الله يعلمنا التوجه إليك، وهؤلاء يعلمون الناس التوجه إلى الشيوخ من غير خجل أو استحياء باسم التأدب والتوقير، وهذا من باب تسمية الشيء بغير اسمه الحقيقي.

---

[1] - "الإحسان": (234/1- 235).

[2] - "الإحسان "2 (ص: 440).

[3] - الاحسان 2ص 440

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

فالسعادة والشقاوة بيد الله، والنفع والضر بيده سبحانه، والعطاء والمنع له تبارك اسمه، وقد كان من دعاء رسول اللهﷺ « اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجات ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك[1]». سعادتي في رضاك يا رب فلا تحرمني، وشقاوتي في غضبك وسخطك فأعذني.

بربك أيها القارئ إذا كانت سعادة وشقاوة هؤلاء الشيوخ غير معلومة لأحد لأنه أمر غيبي. فكيف تكون مصاحبتهم علامة سعادة أو شقاوة غيرهم؟

إن التأدب مع الشيوخ الذين هم العلماء ومجتهدوا الأمة عند أهل السنة واجب شرعا من غير تفريق ولا تمييز، مع أخذ الحق والصواب من الجميع، بلا غلو ولا تعصب، وذلك باختيار قول من كان دليله راجحا قويا، وترك قول من كان دليله مرجوحا ضعيفا، لأن الأصل هو اتباع الكتاب والسنة، والعلماء وسائل لمعرفة الحكم المتعلق بهما.

يقول الشاطبي: «ولقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال، أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل[2]». إلى أن قال: «إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعا ضلال. وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره[3]».

فهل هذا الكلام هو المقصود عند الصوفية عندما يتكلمون عن مسألة التأدب واحترام الشيوخ؟

وهل هذه هي الصورة التي يرضونها تجاه شيوخهم؟

وهل يقبل الشيخ الكامل لمريده أن يرى الحق مع غيره؟

لا تنس أيها القارئ أن معاشرتك ومصاحبتك لشيخ عارف كمعاشرتك لله هكذا يقول القوم، وهذا يقتضي لزاما أن يكون أدبك مع شيخك كأدبك مع الله.

---

[1] - انظر صحيح البخاري الحديث 6311

[2] - "الاعتصام" للإمام الشاطبي:(347/2 و355).

[3] - "الاعتصام":(348/2).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

نقرأ مرة أخرى نقل الأستاذ القشيري لقول ذي النون:« معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقا بأخلاق الله عز وجل[1]».

و يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم بها أدبا لله بالله[2]

و هذا الشعراني يقول: «سمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: (حقيقة حب الشيخ، أن يحب الأشياء من أجله ويكرهها من أجله، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل)»[3].

ويقول السهروردي: « فكما أن للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا، لأنه مخاطبة الله تعالى، فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى»[4].

لا أظن أن القارئ بحاجة إلى شرح هذا الكلام، والتعليق عليه، إلا أنني أنصحه ألا يعجل لأن هذه ليست إلا بداية الآداب التي تقتضيها الصحبة الإحسانية، وذلك من خلال أقوال القوم وخصوصا المعروفين عند ياسين، والذين ينصحنا بالقراءة لهم.

يقول الغزالي: «فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ تربية يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرق لا محالة...

فمعتصم المريد، بعد تقديم الشروط المذكورة، شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يبقى في متابعته شيئا ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب..[5] ».

---

[1] - "الرسالة القشيرية":(ص 243).

[2] - "الفتوحات المكية لابن عربي": (الباب 181 في أوله).

[3] - الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية ج 2 ص4 دار الكتب العلمية

[4] - عوارف المعارف ج 4 ص 98 شهاب الدين السهروردي بهامش الإحياء

[5] - "إحياء علوم الدين"(100/3). أنظر الإحسان(412/2).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وعقد القشيري بابا خاصا في رسالته بعنوان: "حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم" وهذا عبد القادر الجيلاني يقول: «من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبدا[1]».

وينقل لنا ياسين في كتابه الإحسان1 كلام هذا الشيخ الهمام من كتابه الفتح الرباني، حيث يقول:« من أراد الفلاح فليصر أرضا تحت أقدام المشايخ[2]».

أما السهروردي فيقول: « المريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد يكون مقام الشيخ مستودع الحال، وينتقل من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال... _ إلى قوله _ ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه، وفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه، فبالتآلف الإلهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بترك الاختيار[3]».

هذا السريان الذي يحدث من باطن الشيخ إلى باطن المريد ليحصل امتزاج وارتباط بين الصاحب والمصحوب هو ما يكنى عندهم بالصحبة القلبية أو الصحبة الإحسانية. وهي عبارة عن إمداد قلبي من الشيخ إلى المريد باقتباس ذلك النور الذي أودعه الله في قلب ذلك الشيخ - كما يزعمون -.

وتذكر قول ياسين عن ابن تيمية:« ففاته من العلم ما لا يؤخذ عن السطور وإنما يقتبس من الصدور التي نورها الله بنوره» ويقول أيضا: «وتسلسل الرواية والصحبة صاعدة من جيل إلى جيل إلى السدة النبوية أهم ما ينكره المتمسكون بالنص المستغنين عن الصحبة القلبية والصحبة الإحسانية. أية قراءة متوازنة شاملة لكتاب الله وسنة رسوله تفيدني ليستمد قلبي من صحبة الصالحين كما يستمد عقلي من مشافهة العالمين، عقل يستمد من عقل، هذا يسلم به الجميع، لكن أن يستمد قلب من قلب، بالمحبة والمخالطة والتعاون على سلوك الطريق المقربة إلى الله، هذا لا يريد القابض على أوراقه المستغني بها أن يعترف به[4]».

---

[1] - "الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية": (ج 2 ص 7).

[2] - "الإحسان" (237/1).

[3] - "عوارف المعارف" (ص:70).

[4] - "تنوير المومنات": (292/1).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وانظر قوله في كتاب الإحسان1: «ومن صحبوا المشايخ العارفين بالله أئمة التربية يعلمون بالممارسة أن الشيخ المربي حقا هو قبل كل شيء من ينهض بك حاله أي الذي ترفعك محبته وصحبته رفعا قلبيا تستشف روحانيته روحانيتك، ولو لم يتكلم وتحتضنها وترقيها وتهذبها...[1]».

علاقة وطيدة وارتباط قوي ودعوة واحدة، تأمل إن شئت قول السهروردي:

«يسري من باطن الشيخ إلى باطن المريد» وقابله بقول ياسين: «ليستمد قلبي من صحبة الصالحين» تجده واحدا.

وخذ قول السهروردي «وينتقل من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال» وقارنه بقول ياسين «لكن أن يستمد قلب من قلب بالمحبة وبالمخالطة والتعاون».

نبقى مع أصل الموضوع الذي هو الآداب المتعلقة بالمريد حيث الإمداد الحاصل لا يكون في عرف القوم (الصوفية) إلا بترك الاختيار والانسلاخ من إرادة النفس.

هذه المرة ينقل لنا ياسين نصيحة من نصائح أئمة الطريق بعد قوله: «والشعراني ينصحك إن أردت التخلق بما يصفه لك من الفضل والفضائل أن تصحب شيخا مربيا عارفا ويكرر رحمه الله النصيحة لا يمل، وجزاه الله عن المسلمين خيرا، يقول في كتابه " الميزان الكبرى "(فصل إن قال قائل كيف الوصول إلى الاطلاع على عين الشريعة المطهرة الذي يشهد الإنسان اغتراف جميع المجتهدين منها ويشهد تساويهم كلها في الصحة كشفا ويقينا، لا إيمانا وتسليما فقط ولا ظنا وتخمينا. فالجواب طريق الوصول إلى ذلك هو السلوك على يد شيخ عارف بميزان كل حركة وسكون بشرط أن يسلمه نفسه يتصرف فيها وفي أموالها وعيالها كيف يشاء، مع انشراح قلب المريد لذلك كل انشراح[2]».

فجزى الله خيرا صاحب هذه النصيحة وجزى الله خيرا ناقلها.

---

[1] - "الإحسان": 1(/102).

[2] - "الإسلام بين الدعوة والدولة":(353-354) وانظر قول السرهندي في الإحسان (440/2): «**وما لم يجعل المريد نفسه فانيا في رضى الشيخ لا ينال نصيبا من مرضاته سبحانه وتعالى**».

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

شيخ عارف بميزان كل حركة وسكون؟ أيتكلم عن الله؟ أترك للقارئ الجواب.

أما تسليم المريد نفسه للشيخ مع انشراح قلبه كل انشراح لا يعني إلا الاستعباد لعقل الإنسان وإخراج الناس من عبادة رب العباد إلى عبادة العباد.

لأن الطاعة المطلقة وترك اختيار النفس والتسليم بالكلية مع انشراح القلب لا يكون ولا ينبغي أن يكون إلا لرب العالمين ولخاتم الأنبياء والمرسلين. يقول الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا[1]﴾.

هذا قول الله تعالى. أما قول المتصوفة: «وما كان لمريد ولا مريدة إذا قضى الشيخ أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الشيخ فقد ضل ضلالا مبينا».

فالمريد الصادق هو من كان منهاجه مع شيخه، وأستاذ تربيته ومرشده منهاج السمع والطاعة يفوض أمره إليه فلا يعصي له أمرا ولا يرد له قولا، وهذا المنهج التربوي هو ما يصطلح عليه القوم بالصحبة الإحسانية، فتنبه.

فإن لم تكن هذه هي العبودية فلا ندري ما هي العبودية؟

أي دين هذا الذي يدعو الناس إلى ترك الاختيار وتفويض النفس مع انشراح القلب إلى أي كان عدا الأنبياء ؟

إنه ليس الإسلام على كل حال.

وحق لمن قرأ مثل هذه الوساوس والأوهام أن يصف الدين بأنه أفيون الشعوب. وهذا رجل آخر وهو من الذين حظوا بالمدح والثناء عند ياسين وهو أحمد التجاني[2] يقول بعد ذكر أوصاف ومقامات الولي الواصل:«فهذا هو الشيخ الذي يستحق أن يطلب ومتى عثر المريد على من هذه صفته فاللازم في حقه أن يلقي بنفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله، لا اختيار له ولا إرادة ولا إعطاء له ولا فائدة... ومتى أشار عليه بعمل فليحذر من سؤال بلم ؟ وكيف؟ وعلام؟ ولأي شيء؟ فإنه باب المقت والطرد[3]».

---

[1] - (سورة الأحزاب: 36).

[2] - انظر: "الإسلام بين الدعوة والدولة"(ص: 355).

[3] - "جواهر المعاني": (185/2).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

قال الجيلي:

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه كيف يشاء، وهو مطاوع[1]

يجب عليك أيها القارئ ألا تنس أن الاعتراض ممنوع، فإياك أن تعترض فتنطرد وتحرم قبول المشايخ، ألم تقرأ أنه عنوان شقاوتك وحرمان سعادتك!!.

يقول ياسين: «يؤكد القوم النصيحة باحترام المشايخ وطاعتهم، وقد يقول قائلهم:

(يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله) وهي مقالة خطيرة، لأن المريد لا يستطيع تمييز الشيخ الرباني من النصاب الكذاب فيسقط في يد نفس طاغية تلعب به كما تلعب بصاحبها...[2]»

وقبل أن يقول قائل: أن ياسين قال: أنها مقالة خطيرة.

نقول له: أولا إنه سماها نصيحة.

وثانيا: أن صفة الخطورة الواقعة في كلام ياسين لا تتعلق بأصل القولة وفحواها ومضمونها وإنما تتعلق بشخص المريد حيث يلقي نفسه بين يدي شيخ كذاب من حيث لا يدري. أما إذا ألقى نفسه بين يدي عارف صوفي رباني فهذه لا خطورة فيها عنده فتأمل.

هذه الخطورة أحدثت خوفا عند ياسين، قادته ضرورة ألا يغفل ذكر شروط الشيخ الذي تتعين صحبته، وإلقاء النفس بين يده كالميت بين يدي غاسله، مع بيان للمعاملة اللازمة تجاه الشيخ المذكور نقلا عن الغزالي. والذي يهمنا من كلام هذا (الإمام) هو هذه المعاملة اللازمة.

يقول- أي الغزالي-: «وسعادته السعادة فوجد شيخا كما ذكرنا، وقبله الشيخ ينبغي أن يحترمه ظاهرا وباطنا، أما احترام الظاهر. فهو أن لا يجادله، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة وإن علم خطأه، ولا يلقي بين يديه سجادته إلا وقت أداء الصلاة، فإذا فرغ يرفعها ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته، ويعمل ما يأمره به الشيخ من العمل بقدر وسعه، وأما احترام الباطن

---

[1]-"هذه هي الصوفية" (ص: 100)؛ عبد الرحمن الوكيل.

[2] - "الإحسان": (235/1).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

فهو كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا فعلا ولا قولا لئلا يتسم بالنفاق، وإن لم يستطع يترك صحبته إلى أن يوافق ظاهره باطنه [1]».

إن هذا النص يحتوي فائدتين متناقضتين متضاربتين:

الأولى هي: أن احترام الظاهر يقتضي إظهار الموافقة من المريد لشيخه لما يصدر منه من قول أو فعل وإن علم خطأ شيخه فيه. وهذا يلزم أن يعتقد المريد خطأ شيخه باطنا مع ترك المخالفة وإظهار الموافقة والقبول تأدبا.

الثانية هي: أن احترام الباطن يقتضي الموافقة باطنا، مما يلزم منه أن يعتقد المريد صواب شيخه، وإن ظهر له خطأ ما صدر منه. وهذا خلاف ما يقتضيه احترام الظاهر من اعتقاد خطأ الشيخ في الباطن.

أليس العلم بالخطأ في الظاهر يقتضي اعتقاد ذاك الخطأ خطأ؟

فأي اعتبار يبقى لمعنى قوله(وإن علم خطأه) لأن القبول والموافقة هي الحال الدائم للمريد ظاهرا بترك المجادلة وباطنا بعدم إنكاره.

فيبقى الأصل على ما هو عليه، إذ هو تسليم الأمر للشيخ وتفويضه له مطلقا، وذلك لا يكون إلا باتهام المريد نفسه بعدم الفهم لما صدر من شيخه أو أنه خاص بالخاصة وذلك حتى يسلم من الطرد والمقت والاتسام بالنفاق.

فيكون قول القائل ونقل الناقل(وإن علم خطأه) من باب المغالطة وذر الرماد في العيون، لتعمية واقع مشايخ الصوفية المشين.

وهذا يظهر جليا عندما نتذكر قول الغزالي:« فمعتصم المريد، بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية...».

وزيادة في التوضيح والبيان يقول الجيلاني: «وأما آدابه(المريد) مع الشيخ فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه، وصاحب الاعتراض بسره معترض لعطبه، بل يكون خصما على نفسه لشيخه أبدا، يكف نفسه ويزجرها عن مخالفته ظاهرا وباطنا[2]».

---

[1] - "الإحسان":(236/1).

[2] - "الغنية" لعبد القادر الجيلاني: (164/2). وانظر: "الإحسان" (417/2).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ويقول محمد أمين الكردي:«ومنها أن لا يعترض عليه (أي شيخه) فيما يفعله **ولو كان ظاهره حراما**، ولا يقول: لم فعل كذا ؟ لأن من قال لشيخه:لم؟ لا يفلح أبدا؛ فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن..[1]».

بمعنى أنك –أيها المريد- لو رأيت شيخك يزني بامرأة، وهذه صورة مذمومة ظاهرا ومحرمة شرعا، فلا تعترض عليه، وإياك. وما يدريك لعلها تكون محمودة في الباطن.

ويقول القشيري: «من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلاقة بينهما وإن جمعتهما البقعة، فمن صحب شيخا من الشيوخ، ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة، على أن الشيوخ قالوا: عقوق الأستاذين لا توبة منه[2]».

هذه النقول تكفينا لإدانة شيوخ التصوف بنشر الجهالة والخرافة، فكلامهم لا يدل إلا على أن قول الشيخ لا يكون إلا حقا، وما يصدر منه ظاهرا ينزه عن أن يكون باطلا ولا يعني هذا إلا أنه معصوم. تأمل قول ياسين:«إن إسلاس القياد لولي مرشد يدلك على الطريق شرط في السلوك، **وما كان لولي أن يأمر إلا بحق**[3]».

أهذا هو دين الله الذي أرسل الله به رسله؟

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله[4]﴾.

إن هؤلاء المشايخ كالغزالي والجيلاني والجيلي والسهروردي والقشيري والتجاني وعبد العزيز الدباغ والشعراني وابن عربي... قد أورد ياسين أسماءهم في كتبه، متمثلا بأقوالهم ومستشهدا بها وداعيا إليها ومستخدما تعبيراتهم نفسها، ولا يذكر أسماءهم إلا مصحوبة بـ**(سيدي)** و**(مولانا)** و**(ولي الله)** و**(الشيخ الأكبر)** و**(مولاي الشريف)**. وهذا دليل أكثر من كاف على دراسته المتعمقة لمذهب القوم وقناعته وإيمانه بما يؤمنون به.

---

[1] - "تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب" (ص: 528). الطبعة التاسعة: 1372 هـ

[2] - "الرسالة القشيرية" (ص: 258).

[3] - "الإحسان": (52/1).

[4] - (سورة الشورى: الآية 19).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وباختصار فالمريد الصادق عند الصوفية من يبتدئ طريقه إلى الله بعبادة شيخه.

وهذا المدلول هو المراد المطلوب عندهم في التربية الصوفية عند استعمالهم لفظ الإحسان أو الصحبة الإحسانية كما عبر عبد السلام ياسين.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الفصل الثاني

المبحث الأول: كشف تلبيس عبد السلام ياسين ورد عدوانه على اهل الحديث

المبحث الثاني: حديث الولاية بين فقه المحدثين وانحراف المتصوفين

المبحث الثالث: العقيدة الصوفية سر خفي وكفر جلي

المبحث الرابع: بين ابن عربي وعبد السلام ياسين

*** الكذبة الياسينية**

يقول أبو العباس المرسي:

« لو كُشف عن نور الولي لَعُبد من دون الله »

"إيقاظ الهمم في شرح الحكم"(ص 156).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الأول:

كشف تلبيس عبد السلام ياسين

و رد عدوانه على أهل الحديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول اللهﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به؛ وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سئلني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب "التواضع"؛ باب: "الرقاق" تحت رقم 6502 من طريق خالد بن مخلد، وهو من الأحاديث القليلة التي انتقدها العلماء على البخاري.

وهو حديث عظيم الشأن في بابه، لارتباط موضوعه بموضوع مسمى الإيمان، ومراتب كماله ودرجات الولاية وأقسامها. إلا أنه لم يسلم من تلاعب أهل الأهواء والبدع والزيغ، وذلك بتطويعه لأغراضهم العقدية والمنهجية، تمريرا لبدعهم وشبهاتهم، إذ أبرز سماتهم (أهل البدع) تحريف النصوص عن مقاصدها لإضفاء الشرعية على ما ذهبوا إليه وذلك لإقناع العامة من الناس.كما فعل الخوارج بنصوص الوعيد، واحتجاجهم في مسألة التحكيم بقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله[1]﴾.

واحتجاج الجبرية بقوله: ﴿لا يسأل عما يفعل[2]﴾.

واحتجاج نفاة الصفات من جهمية وأشاعرة ومعطلة بقوله﴿ليس كمثله شيء[3]﴾... إلى غير ذلك من احتجاجات أهل البدع كالمرجئة والقدرية....

---

[1] - (سورة يوسف: الآية 40).

[2] - (سورة الأنبياء: الآية 23)

[3] - (سورة الشورى الآية 11)

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

استغل ياسين هذا الحديث استغلالا فاحشا للطعن في أهل الحديث والتنقيص منهم.

يقول ياسين: «هذا الحديث العظيم حير العلماء والمحدثين حتى أن من كبار نقادهم مثل الذهبي من كاد يطعن في صحة الحديث لولا هيبة البخاري[1]».

وقال في موضع آخر من كتابه الإحسان1 «وإن العبد المتقرب إلى الله بالفرض والنفل يأتي وقت يحبه فيفعل به جل وعلا ما قرأناه في الحديث العظيم الذي توقف فيه الذهبي حيرة وترددا [2]».

وقال مرة أخرى: «وحول هذا الحديث نشبت بين طوائف العلماء خلافات وتأويلات أفرده بعضهم بالتأليف لمزيد العناية به، كما فعل الشوكاني في كتابه (قطر الولي في حديث الولي)، وأنكره بعضهم مع ثبوته في أصح كتاب بعد كتاب الله لما ضاقت حويصلته عن قبول المعاني الجليلة التي تضمنها، كما فعل الذهبي حين زعم أنه (حديث غريب جدا، ولولا هيبة الجامع لعددته من منكرات خالد بن مخلد) وخالد بن مخلد من رجال إسناد الحديث تجاوز القنطرة بتزكية البخاري له، ويريد الذهبي غفر الله له أن يرده على أعقابه[3]».

وقال في كتابه الإحسان2: «الحافظ الذهبي تلميذ ابن تيمية الشاك المشكك في حديث البخاري القدسي (من عادى لي وليا)[4]».

عجبا كيف يرمي ياسين العلماء والمحدثين بالحيرة دون تحفظ، ولا أدنى تعريف لفضلهم لأن العلماء هم منار الأمة ومصباحها، فإذا أصابهم ما وصفهم به ياسين فما حال من دونهم؟! وخصوصا إذا كان الذهبي أحد كبار نقادهم، مع العلم أن ياسين لم يذكر إلا الذهبي في جميع المواطن التي أثار فيها الكلام عن حديث الولاية. فإذا كان هو المقصود فلماذا هذا التعميم؟

إن طعن ياسين في العلماء ورميهم بالحيرة والتردد والتنقيص من قدرهم لم يأت عرضا بغير قصد، وإنما هو طعن مبني على موقف ثابت ومتأصل، موقف المتصوفة من أهل الحديث[1]، وكل من كان مذهبه الحديث.

---

[1] - "تنوير المؤمنات" (1/293).

[2] - "الإحسان 1" (ص: 208).

[3] - "نفس المصدر" (ص: 170).

[4] - "الإحسان" (2: 272).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يقول ياسين:«لا أريد أن أمثل أمام محكمة نصب فيها بعضهم أنفسهم قضاة وحجة، والخصام بين الصوفية والحنابلة كالخصام بين الحنابلة والعقيدة الأشعرية لا ينتهي[2]».

لنا أن نتسائل لماذا الحنابلة وحدهم دون غيرهم؟

والجواب: هو أنهم لم يحيدوا عن سلوك إمامهم وعقيدته كما لم يحيدوا عن فقهه. هم ليسوا صوفية وليسوا أشاعرة، سبيلهم سبيل الإمام أحمد بن حنبل، وسبيل الإمام أحمد هو سبيل أهل الحديث كمالك والشافعي...

يقول ياسين:«تعايش الصوفية والفقهاء في صلح وانسجام قرونا يبرز منتقد حنبلي بين الفينة والأخرى كابن الجوزي رحمه الله.

....فالعلماء الحنفية والشافعية والمالكية منذئذ أشاعرة عقيدة، صوفية عاملون يبحثون عن شيخ صوفي يربي قلوبهم بعد أن بلغوا شأوا من العلم المعقول والمنقول أو مسلمون للصوفية.

وبقيت الأقلية الحنبلية مناوئة للمذهب الأشعري والسلوك الصوفي مشاغبة في شوارع بغداد، مقاتلة عن السنة وصفاء العقيدة.....[3]»

انظر كيف جعل المقاتلة على السنة وصفاء العقيدة شغبا، والقائمين عليها مشاغبين وأقليتهم أقلية مشاغبة؟!

واستعماله لفظ الشغب لا يسلم من قصد مغرض، لأن الشغب لا يذكر إلا في الشر، والشغب هو تهييج الشر كما ذكره صاحب مختار الصحاح.

مشاغبون لأنهم مناوئون للمذهب الأشعري والسلوك الصوفي ويكفي هاهنا التنبيه على أن المذهب الأشعري معطل للصفات وتجارته الإرجاء، أما السلوك الصوفي فبداية طريقه استعباد الناس وتأليه المشايخ.

لا يريد ياسين من اسم الحنابلة أولئك الفقهاء المبتلين بالتعصب المذهبي، وإنما مراده أولئك المجتهدين الذين مذهبهم الحديث ونفسهم الأثر ووطنهم الدليل، أولئك الذين ليست لهم حدود تمنعهم من السنة ما دام هناك نص

---

[1]- فتجد ياسين يرميهم بالسطحيين، والتيميين، والحرفيين، انظر على سبيل المثال: "تنوير المؤمنات" (ج 278/1- 285)- (ج 2 ص 34).

[2] - "تنوير المومنات": (ج1 ص280).

[3] - "تنوير المومنات":(ج1 ص277-278).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

موجود. ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال مخاطبا الإمام أحمد بن حنبل:«أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون: كوفيا، أو بصريا، أو شاميا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا[1]».

يقول ياسين:« ويرث حنابلة ثقاة[2] أحمال الفقه والفتاوى التي كتب عليها ابن القيم لافتة(ينتهي صلاح استعمالها)، وتتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال: أكان ابن تيمية وتلميذه الذكي ابن القيم يفتون للأبد؟[3]».

تأمل كلام هذا الرجل جيدا حتى نصل إلى حقيقة مراده. لأنه ليس هناك من قال أن ابن تيمية أو غيره من الأئمة يفتون للأبد!!

كما أنه ليس هناك قائل بأن فتاوى العلماء تنتهي صلاحيتها بانتهاء أعمارهم. لأن صلاحية الفتوى أو عدم صلاحيتها مرتبطة باستمرار أو عدم استمرار الظروف والقواعد التي بنيت عليها. وليست لها أي ارتباط البتة بحياة صاحبها.

إذن فما الذي يريده ياسين بكلامه هذا؟!

إنه لا يريد إلا النيل من أمثال ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي والذهبي وغيرهم من الذين كانوا على قلب رجل واحد في مواجهة التيار الصوفي، جاهد ياسين بكل ما في وسعه لإلغاء الجهود التي بذلت لدحض مزاعم المتصوفة وخصوصا جهود شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولا أدل على ذلك من اهتمامه الكبير بهذا الإمام نبزا وطعنا[4].

وهنا نقف حتى نسأل عبد السلام ياسين بقولنا: هل تغيرت أحوال الأشاعرة أو غابت عقائد المتصوفة في زمننا هذا حتى نقول بعدم صلاحية الجهود التي بذلت صدا لبدعهم ودحضا لباطلهم وتحذيرا للأمة من شرهم؟!

---

[1] - "أهل الحديث الطائفة المنصورة الناجية"؛ للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، (ص: 35)، الهامش.

[2] - كذا هي في الأصل والصواب: "ثقات".

[3] - "تنوير المومنات" (ج1 ص 281).

[4] - أنظر مثلا "تنوير المومنات": (ج1 ص 278) حيث يقول: وكان رحمه الله خصما حاد اللسان قاطع القلم ، مسرعا إلى تبديع من خالفه وتكفيره، وكانت له مسائل عرفت في زمانه في أوساط العلماء."بمسائل ابن تيمية" شذ فيها وبالغ.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

إن الحق الذي لا محيد عنه هو أن عقائد الصوفية وغيرهم من الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، ما زالت منتشرة في أكثر بلاد المسلمين، ويتربى عليها كثير من الدارسين.

ولست أظن أن هذا خاف على ياسين!! ولكنه حب البدعة.

وعلى هذا فإنه لا يسعنا إلا الاستفادة من علم أئمتنا والاستعانة بجهودهم التي كشف الله بها كل شبهة وأزال كل غمة، فلله درهم – أهل الحديث- وجزاهم الله عن المسلمين والإسلام خير جزاء، فندوا مزاعم المبتدعة وخاصة المتصوفة أسلاف ياسين، وذلك برد أكاذيبهم وكشف خبثهم وإظهار فساد معتقدهم.

ألفوا رضي الله عنهم وكتبوا وسافروا وارتحلوا وناقشوا وناظروا وخاضوا المعارك ونصرهم الله عليهم.

أئمة مخلصون وعلماء صادقون حاربوا التقليد بكل أنواعه المذمومة والتعصب بكل أصنافه المقدوحة، واصلوا جهودهم وكثفوا دعوتهم، وسهروا ليلهم وهاجروا أوطانهم، وأحرقوا أكبادهم في سبيل حماية الدين من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، أيقظوا النائم وذكروا الغافل وحرروا المستعبد. فهم بحق أدلة المتحير وحجة المتهافت ونجاة المتخبط.

حذروا من كل دخيل، وقمعوا كل بدعة وبينوا ما أدرج في الدين مما ليس منه، نصروا السنة ودعوا إلى الإسلام كما أنزل على محمدﷺ وفهمه الصحابة وسار عليه التابعون.

ربطوا الأمة بسابقها ولاحقها، فلا انتساب للأشخاص ولا لشعارات ولا لرايات ولا لانتماءات وإنما انتسابهم للإسلام، لهم أسماء دالة على الإسلام بمفهومه الصحيح، تميز مناهجه عن مناهج أهل البدع والزيغ والانحراف. وذلك خشية أن يلتبس على كثير من الناس المحق من المبطل.

فأهل السنة والجماعة، والفرق الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الحديث، وأهل الأثر، والسلفيون، كلها أسماؤهم، وهي لمسمى واحد "أصحاب الاقتداء بمنهج السلف"، اشتقت لهم - أسماؤهم - من أصل عملهم وصلب سلوكهم وواقع حالهم وما يقوم عليه مذهبهم.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ويكفيهم شرفا – أهل الحديث ومن كان على مذهبهم- أن الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن المراد من حديث رسول اللهﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من ناوأهم"[1] وفي رواية(خالفهم حتى تقوم الساعة)[2] .أجاب:إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟». هذا القول ليس قول الإمام أحمد وحده وإنما هو قول جميع أئمة أهل السنة في كل عصر إلا من كان من أهل البدع. فهو قول: عبد الله بن المبارك ويزيد بن هارون أبي خالد الواسطى وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي جعفر أحمد بن سنان الوساطي، ومحمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، ومحمد بن جرير الطبري المفسر، والحافظ أبي بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، وأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، وأبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري، وأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي....

وإليك أيها القارئ بعض نقولهم في بيان مكانة أهل الحديث حتى تعلم لماذا سموا بهذا الاسم وما حقيقة مضمونه؟

يقول اللالكائي في كتابه(شرح أصول عقيدة أهل السنة والجماعة)[3] ، بعد ذكره الآيات والأحاديث التي تحث على طاعة الله ورسوله:

«فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته، إلا الحث على الاتباع وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخصهم بهذا الرسم (أصحاب الحديث). لاختصاصهم برسول الله، واتباعهم لقوله وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وأفعاله، فأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرائعه مشاهدة، وأحكامه معاينة، من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه واصلة فجاولوها عيانا وحفظوا عنه شفاها، وتلقفوه من فيه رطبا، وتلقنوه من لسانه عذبا، واعتقدوا جميع ذلك حقا، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينا...فهذا دين أخذوا أوله عن رسول اللهﷺ مشافهة لم يشبه لبس ولا شبهة، ثم نقلها العدول عن

---

[1] - حديث متواتر. انظر كتاب "أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية"، للشيخ ربيع بن هادي المدخلي فإنه نافع في بابه.

[2] - حديث متواتر. انظر كتاب "أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية"، للشيخ ربيع بن هادي المدخلي فإنه نافع في بابه.

[3] - ص 22-23-24-25 دار طيبة.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

العدول من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة والصافة عن الصافة والجماعة عن الجماعة...فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة وانحفظت بهم أصول السنة، فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة، والدعوة لهم من الله بالمغفرة، فهم حملة علمه، ونقلة دينه، وسفرته بينه وبين أمته وأمناؤه في تبليغ الوحي عنه، فحري أن يكونوا أولى الناس به في حياته ووفاته...ثم كل من اعتقد مذهبا، فإلى صاحب مقاته التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث، فإن صاحب مقالتهم رسول الله، فهم إليه ينتسبون وإلى علمه يستندون وبه يستدلون...وعلى أعداء سنته بقربهم منه يصولون، فمن يوازيهم في شرف الذكر، ويباهيهم في ساحة الفخر وعلو الإسم... فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة، المتمسكة بالسنة، التي لا تريد برسول الله بديلا، ولا عن سنته تحويلا، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان، ولا يصرفهم عن سمعتها ابتداع من كاد الإسلام، ليصد عن سبيل الله يبغيها عوجا، ويصرف عن طرقها جدلا ولجاجا، ظنا منه كذبا، وتخمينا باطلا، أنه يطفئ نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون».

ويقول الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه "معرفة علوم الحديث"، وذلك بعد نقله لحديث رسول الله ﷺالسابق في ذكره للطائفة المنصورة وقول الإمام أحمد فيه. حيث قال: -الحاكم- «وفي مثل هذا قيل: من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحق. فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين ودمغوا أهل البدع من المخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين، من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار».

وساق إسناده إلى حفص بن غياث أنه قيل له: ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه؟ قال: هم خير أهل الدنيا.

وإلى أبي بكر بن عياش أنه قال: إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس...

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ثم قال الحاكم:« ولقد صدقا جميعا إن أصحاب الحديث خير الناس، وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة، وسمرهم المعارضة، واستراواقهم المذاكرة، وخلوقهم المداد...

فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، وقلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تعلم السنن سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم[1]».

وهذا القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي يقول في كتابه "المحدث الفاصل":

«اعترضت طائفة ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بتنقص أصحاب الحديث، والإزراء بهم، وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم، وقد شرف الله الحديث وفضل أهله وأعلى منزلته، وحكمه في كل نحلة، وقدمه على كل علم، ورفع من ذكر من حمله، وعني به، فهم بيضة الدين ومنار الحجة، وكيف لا يستوجبون الفضيلة، ولا يستحقون الرتبة الرفيعة، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين، وأخبروا عن أنباء التنزيل، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسولﷺ. فنقلوا شرائعه، ودونوا مشاهده، وصنفوا أعلامه، ودلائله وحققوا مناقب عترته، ومآثر آبائه وعشيرته، وجاءوا بسير الأنبياء، ومقامات الأولياء وأخبار الشهداء والصديقين وعبروا عن جميع فعل النبي ﷺ في سفره وحضره وظعنه وإقامته وسائر أحواله من منام ويقظة، وإشارة وتصريح، وصمت ونطق ونهوض وقعود، ومأكل ومشرب وملبس، ومركب وما كان سبيله في حال الرضى والسخط، والإنكار والقبول، حتى القلامة من ظفره ما كان يصنع بها، والنخامة من فيه أين كان وجهتها، وما كان يقول عند كل فعل يحدثه ويفعله عند كل موقف ومشهد يشهده تعظيما له ﷺومعرفة بأقدار ما ذكر عنه، وأسند إليه:

فمن عرف للإسلام حقه وأوجب للرسول حرمته أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه، وأعلى مكانه، وأظهر حجته وأبان فضيلته، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسولﷺ وأتباع الوحي، وأوعية الدين ونقلة الأحكام والقرآن، الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل، فقال: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾(التوبة: 100)،

---

[1] - "أهل الحديث"؛ لربيع بن هادي المدخلي: (ص:99 – 100).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

فإنك إن أردت التوصل إلى معرفة هذا القرن، لم يذكرهم لك إلا راو للحديث متحقق به، أو داخل في حيز أهله، ومن سوى ذلك فربك بهم أعلم[1]».

هذا الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي يقول في كتابه "شرف أصحاب الحديث": «فلو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم، وطلب سنن رسول رب العالمين، واقتفى آثار الفقهاء المحدثين لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد وبيان ما جاء من الوعد والوعيد، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين، والأخبار عن صفة الجنة والنار، من صنوف العجائب وعظيم الآيات، وذكر الملائكة المقربين، ونعت الصافين والمسبحين... إلى أن يقول: وقد جعل الله أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله في خليقته، والواسطة بين النبي وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، وتستحسن رأي من تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ﷺ، وهم المأمونون عليه العدول، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته.

وإذا اختلف في الحديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ منهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلته مخصوص بفضيلته، وقارئ متقن وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم وسبيلهم المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر[2]، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، ولا يضرهم من خذلهم ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر إليهم بالشر حسير، وإن الله على نصرهم لقدير[3]».

---

[1] - "أهل الحديث" ربيع بن هادي المدخلي (ص:100-101).

[2] - كما هو شأن عبد السلام ياسين انظر المبحث القادم

[3] - أهل الحديث ص 105 – 106 ربيع بن هادي المدخلي

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

واسمع إلى الشافعي وهو يقول:«إذا رأيت رجلا من أهل الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب رسول الله[1]».

وعلى الله أجر الناظم:

أهل الحديث هموا أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا[2]

ومما قيل فيهم:

عليك بأصحاب الحديث فإنهم خيار عباد الله في كل محفل.

ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم نجوم الهدى في أعين المتأمل[3]

ومن ذلك:

أهل الحديث عصابة الحق فازوا بدعوة سيد الخلق

فوجوههم زهر منضرة لألاؤها كتألق البرق

يا ليتني معهم فيدركني ما أدركوه بها من السبق[4]

لله در هؤلاء الذين حظوا بهذا الثناء والتعظيم والتوقير والمدح والاحترام والتبجيل الذي لم يوجه مثله لطائفة من طوائف المسلمين إلا لهم.

فإذا انكشف الغطاء فاعلم أن المحدثين هم الذين اختصوا بالذب عن السنة النبوية والمعارف الأثرية وحموا حماها. فمن للحديث إذا اتهم أهله بالحيرة والتردد؟ وهم ما سموا أهل الحديث إلا لعنايتهم به وانقطاعهم في طلبه.

فيا عجبا كيف لم يهتد ياسين بذهنه هذا السيال إلى أنه عار أن يذم من لا يستفيد بذمه إلا ذم نفسه، وكشف الغطاء عن حماقته. حيث لم يستحي أن يقول معلقا على حديث أبي هريرة السابق حديث الوعائين [5] «قلت (القائل

---

[1] - المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (علي حسن عبد الحميد) ص 444

[2] - أهل الحديث ص 138

[3] - أهل الحديث ص 138

[4] - "أهل الحديث"؛ ربيع بن هادي المدخلي (ص: 141).

[5] - حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال:«حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم فأما أحدهما فقد بثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم».

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ياسين): ولا يزال الخلاف في فهم حديث أبي هريرة قائما بين الصوفية وأهل الحديث...»

فمن هم الصوفية وما حقيقتهم حتى جعلهم هذا الرجل ندا لأهل الحديث في فهم الحديث ؟

وما هي قيمتهم في ميزان أهل السنة؟

وهل قيل فيهم مثل ما قيل في أهل الحديث؟

قال الشافعي:«لو أن رجلا تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق[1]».

وقال أيضا: «ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد عقله إليه أبدا[2]».

وقال سفيان سمعت عاصما يقول: «ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق: إلا أنهم يسترون بالحديث[3]».

وعن يحيى بن يحيى قال:« الخوارج أحب إلي من الصوفية[4]».

وعن يحيى بن معاذ قال: «اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين والفقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين[5]».

وعن داود بن صبيح قال لعبد الرحمن بن المهدي: «يا أبا سعيد: إن ببلدنا قوما من هؤلاء الصوفية. فقال: لا تقرب هؤلاء فإنا قد رأينا قوما أخرجهم الأمر إلى الجنون وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة[6]».

فأين هذه الأقوال من تلك التي قيلت في أهل الحديث؟!

وهل قتل أحد من أهل الحديث بتهمة الزندقة كما قتل كثير من المتصوفة أمثال الحلاج والسهروردي المقتول وابن عطاء وأبي حمزة البغدادي...؟

وهل سمعت أحدا من أهل الحديث حبس في المرستان (مستشفى المجانين)

---

1 - "المنتقى النفيس من تلبيس إبليس" ؛ علي حسن علي عبد الحميد: (ص:504).

2 - نفسه.

3 - نفسه.

4 -. نفسه

5 - "المنتقى النفيس من تلبيس إبليس" ؛ علي حسن علي عبد الحميد: (ص:504).

6 - "المنتقى النفيس من تلبيس إبليس" ؛ علي حسن علي عبد الحميد: (ص:504).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

كما حبس عبد السلام ياسين وكثير من أسلافه المتصوفة وعلى رأسهم الشبلي[1]؟

فأي مذهب هذا الذي أصحابه بين تهمتي الجنون والزندقة؟!

- فاختر وما منهما حظ لمختار[2]

إن أصحاب الحديث هم أهل الحق والهدى، وغيرهم هم أهل الضلال والجهل والخلط والخبط، وضلال كل فرقة بحسب بعدها عن منهج أهل الحديث ومذهبهم، لأن أهل الحديث هم ألصق الناس بآثار الأنبياء وأكثرهم اعتصاما بالسنة ولولا ذلك لما سموا بهذا الاسم الشريف.

عودة إلى سند الحديث، من الحائر على الصحيح العلماء والمحدثون على العموم والذهبي على الخصوص أم عبد السلام ياسين هذا؟

تأمل أقواله السابقة في تحديده لموقف الذهبي من حديث الولاية حيث قال مرة: «... مثل الذهبي الذي كاد يطعن في صحته... »

وقوله: «الذي توقف فيه الذهبي...»

وقوله:« وأنكره بعضهم مع ثوبته... كما فعل الذهبي...»

وقوله: « الشاك المشكك في الحديث القدسي...»

طعن، توقف، إنكار، شك!! أترك الإجابة للقارئ وذلك بمحاولته تحديد موقف الذهبي من الحديث من خلال كلام ياسين، وبعد أن يستخلص، - القارئ – جوابا إن أمكنه ذلك نبقى مع قوله السابق: «وأنكره بعضهم مع ثبوته في أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى لما ضاقت حويصلته عن قبول المعاني الجليلة التي تضمنها كما فعل الذهبي حين زعم أنه (حديث غريب جدا، ولولا هيبة الجامع لعددته من منكرات خالد بن مخلد) وخالد بن مخلد من رجال إسناد الحديث، تجاوز القنطرة بتزكية البخاري له، ويريد الذهبي غفر الله له أن يرده على أعقابه».

ما الذي يريد ياسين أن نستخلص من قوله "وأنكره بعضهم مع ثبوته في أصح كتاب بعد كتاب الله"؟.

---

[1] - أنظر "إحياء علوم الدين" (ج 4 ص 460).

[2] - "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم"؛ لابن الوزير، (ج 2 ص 510).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

أو يكون مراده هو أن حديث الولاية صحيح لذات الإسناد الذي أورده به الإمام البخاري في الصحيح؟

وعلى اعتبار صحة هذا الافتراض يكون مراده دليلا على فرط جهله بطرق التصحيح عند المحدثين. لأن حديث الولاية الذي بين أيدينا لم تبلغه الصحة إلا من جهة كثرة طرقه وتعدد شواهده وتعاضدها مع ضعفها، حيث ارتقت به إلى أن صار صحيحا. وهذا هو المعلوم بالضرورة من علم الحديث، وهو أن الضعيف إذا تعددت طرقه انجبرت وتعاضدت وذلك إذا كان ضعفها ضعفا خفيفا. والبخاري -رحمه الله- لم ير ما يستدعي نقلها -أي الطرق التي انجبر بها الحديث- في الصحيح، وذلك حتى لا يخرج بالكتاب عن موضوعه.

ومن هنا يظهر خطأ اعتراض ياسين على الذهبي، لأن الذهبي لم يتكلم على الحديث إلا من جهة طريق خالد بن مخلد، وليس من جهة تعدد طرقه.

كما يتضاعف خطأه لما قال:«وخالد بن مخلد من رجال إسناد الحديث تجاوز القنطرة بتزكية البخاري له»؛ لأن الذي تجاوز القنطرة على الصحيح هو الحديث وليس خالد بن مخلد كما فهم ياسين.

فالحديث تجاوز القنطرة وصار صحيحا بتعدد طرقه وتعاضدها فيما بينها، أما خالد بن مخلد فهو على حاله الذي وصفه به العلماء. حيث إذا انفرد برواية حديث ولم تتعدد طرقه لم يحتج به.« قال فيه الإمام أحمد:" له مناكير" وقال أبو حاتم:" يكتب حديثه ولا يحتج به" [1]».

إلا أن الإشكال الواقع هو أن الذهبي لم يقف على الحديث إلا من طريق واحد وهذا الذي لم ينقله ياسين عمدا وتلبيسا منه، وذلك للنيل من أهل الحديث، وهاك قول الذهبي بتمامه حتى تعلم درجة أمانة النقل عند ياسين: قال الذهبي:« فهذا الحديث غريب جدا، ولولا هيبة(الجامع الصحيح) لعددته من منكرات خالد بن مخلد وذلك لغرابة لفظه، ولأنه مما ينفرد به شريك وليس بالحافظ، **ولم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد**، ولا أخرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند أحمد وقد اختلف في عطاء..[2]».

هل كان ياسين أمينا في النقل والتلخيص؟

---

[1] - هدي الساري مقدمة صحيح البخاري (لابن حجر العسقلاني) (ص: 564).

[2] - "ميزان الإعتدال": (ج 2 ص 164).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

قال ابن حجر معلقا على الذهبي بعد نقله لكلامه بشيء من الاختصار.

«ليس هو في مسند أحمد جزما، وإطلاق أنه لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد مردود- إلى أن قال- ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا[1]».

قال محدث زمانه الشيخ الألباني -رحمه الله- معلقا على كلام ابن حجر:

«هذا كله كلام الحافظ وقد أطال النفس فيه، وحق له ذلك فإن حديثا يخرجه الإمام البخاري في"المسند الصحيح" ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف في إسناده، لاحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده وتقويه...فهل هذا الحديث كذلك؟[2]».

كلام الشيخ الألباني هذا جاء عقب ذكره لطريق خالد بن مخلد. حيث قال رحمه الله: " وهذا إسناد ضعيف وهو من الأسانيد القليلة التي انتقدها العلماء على البخاري رحمه الله تعالى...[3]»، ثم قال قولته الأخيرة في آخر بحثه بعدما عير كل طرق الحديث بمعيار أهل الحديث: « وخلاصة القول: أن كثرة هذه الشواهد لا تصلح لتقوية الحديث بها، إما لشدة ضعف إسناده، وإما لاختصارها، اللهم إلا حديث عائشة، وحديث أنس بطريقيه؛ فإنهما إذا ضما إلى إسناد حديث أبي هريرة اعتضد الحديث بمجموعها وارتقى إلى درجة الصحة إن شاء الله تعالى، وقد صححه من سبق ذكره من العلماء[4]».

فإذا عرفت أيها القارئ، بعد هذه النقول المختصرة حقيقة الأمر، فلا تغتر بتمويه وتلبيس ياسين خصوصا إذا كان غير أمين في النقل.

فائدة: لا يقال في مثل حديث الولاية أنه متواتر. لأن من شروط التواتر تعدد الطرق الصحيحة حيث يمتنع تواطؤ رواتها على الكذب. والحديث الذي بين أيدينا طرقه كلها ضعيفة بأفرادها ولم تثبت الصحة للحديث إلا بمجموعها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

---

1 - فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 12 كتاب الرقاق باب التواضع ص 415.

2 - سلسلة الأحاديث الصحيحة:ج4 ص 185 رقم الحديث 1640.

3 - سلسلة الأحاديث الصحيحة ج 4 ص 184 للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله.

4 - "نفس المصدر" (ص:190).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

إلا أن ياسين يأبى إلا أن يظهر عن جهله المركب الذي ستره الله عليه، حيث قال: في معرض كلامه عن حديث الولاية:«لكن أروي حديثا قدسيا هو في درجة أمتن الأحاديث لأنه حديث متواتر....[1]».

و قال أيضا في مكان آخر من نفس الكتاب:« فكلامهم[2] لا يعدو الإخبار عما أخبر به الله في الحديث القدسي المتواتر: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به....) [3] ». وقال أيضا:«وما عدا الصوفي الكبير[4] أن أنبأ بما تحمله الألفاظ عن الحديث القدسي المتواتر...[5]». فما الذي حمل ياسين على ركوب الصعاب والسير في طريق وعر دون الاستعانة بأهل الاختصاص أئمة الحديث الذين لم يثبت عن أحدهم القول بتواتر الحديث...

إن الذي حمله في الغالب هو طريقة أسلافه المتصوفة التي هي طريقة الكشف والفيض والتي لا تعتمد على البحث العلمي والاستدلال الموضوعي، بل هي محض الخرافة كما أخبرنا هو نفسه عن عبد العزيز الدباغ الولي الأمي الذي كان يقرأ عليه كلاما لا عهد له به، فيعلم أنه قرآن أو حديث، وإذا كان حديثا يعلم أنه صحيح أم ضعيف؟!

---

1 - "الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص: 62).

2 - الضمير في كلامه يعود على المتصوفة.

3 - الإسلام بين الدعوة والدولة ص 352.

4 - يريد بكلامه ابن عربي الحاتمي الطائي.

5 - الإسلام بين الدعوة والدولة ص 362.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الثاني

حديث الولاية بين فقه المحدثين وانحراف المتصوفين

في قول الرسولﷺ في ما ينقله عن ربه: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..».

أن أولياء الله المقربين وعباده الصالحين على قسمين:

- المتقربون إليه بأداء الفرائض وذلك بفعل المأمور وترك المحضور، وأصحاب هذا القسم يقال لهم: المقتصدون ومرتبتهم في باب الإيمان هي مرتبة كمال الإيمان الواجب.

- المتقربون إلى الله بالاجتهاد في النوافل والتطوعات بعد الفرائض، وهؤلاء يقال لهم السابقون بالخيرات. ومرتبتهم هي مرتبة كمال الإيمان المستحب وهي مرتبة الإحسان ويقال لهم المحسنون.

وكل من المقتصدين والسابقين بالخيرات يدخلون الجنة ابتداء بغير سبق عقاب.

بخلاف الظالمين لأنفسهم الذين مرتبتهم دون مرتبة الأولياء أصحاب كمال الإيمان (الكمال الواجب أو المستحب)، ولهذا لم يرد ذكرهم في حديث الولاية الذي بين أيدينا لاستحقاقهم العقاب، وذلك لتفريطهم في الأعمال إما بترك المأمور أو بفعل المحظور فهم في خطر المشيئة إن شاء الله عذبهم وإن شاء عفى عنهم[1]، يقول الله تعالى:﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير[2]﴾.

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاث أنواع، فقال تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهو

---

[1] - من أراد التفصيل في هذه المراتب فعليه بكتاب الإيمان لابن تيمية.

[2] - (سورة فاطر الآية 92).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات. ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك المستحبات ويفعل بعض المكروهات ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[1]».

ويقول ابن تيمية: «فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو ظالم لنفسه والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه[2]».

وقال أيضا: «والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه [3]».

والمستفاد من الحديث هو أن أداء الفرائض أحب ما يتقرب به المتقربون إلى الله، ثم يأتي بعده النوافل والتطوعات مما يوجب للعبد محبة الله كما جاء في قوله عليه السلام: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..». فإذا صار العبد محبوبا لله أوجبت محبة الله له معية خاصة أخص من المعية التي يحظى بها كل المؤمنين المرادة في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا [4]﴾.

فهذه المعية كل له منها نصيب، لكن أين هي معية المفرطين من معية المحسنين، إنها معية الله الخاصة بأهل الإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿ لا تحزن إن الله معنا [5]﴾. وقوله: ﴿إن الله لمع المحسنين [6]﴾. وقوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون [7]﴾. فالعبد إذا اجتهد بالفرائض ثم بالنوافل ارتقى من **درجة الإيمان إلى درجة الإحسان كما في حديث جبريل عليه السلام، فيتحقق له ذاك القرب العظيم والحظ الكريم الذي مَنَّ الله به عليه وذلك بقوله:**

---

1 - "تفسير ابن كثير" (3 / 609).
2 - "مجموع الفتاوى" (7 / 275).
3 - مجموع الفتاوى" (7 / 10).
4 - (سورة المجادلة الآية 10/7).
5 - (سورة التوبة الآية 40).
6 - (سورة العنكبوت الآية 69).
7 - (سورة النحل الآية 128).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

«... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...».

إنها منحة إلهية، يوفق الله بها محبوبه إلى تحقق إرادته-أي العبد- بإرادته سبحانه، وذلك لكمال إيمان عبده المقتضي لكمال محبته وطاعته لربه سبحانه، فيكون إذا سمع سمع بالله، وإذا بصر بصر به، وإذا نطق نطق به، وإذا مشى مشى به.

يقول ابن تيمية: «فإن ولي الله لكمال محبته لله وطاعته لله يبقى إدراكه لله وبالله، وعمله لله وبالله، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه، وما يراه مما يحبه الحق أحبه، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه، ويبقى في سمعه وبصره من النور مما يميز به بين الحق والباطل...

فولي الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه، والمأمور والمنهي ونحو ذلك، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، وولي الحق وليه، وعدو الحق عدوه..[1]».

ويقول ابن رجب الحنبلي عند شرحه لحديث الولاية:«فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى؛ محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها[2]».

ويقول ابن القيم:«وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر، فإن هذه الآلات آلات الإدراك وآلات الفعل، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكراهة، ويجلبان إليه الحب والبغض، فيستعمل اليد والرجل، فإذا كان سمع العبد بالله، كان محفوظا في آلات إدراكه، وكان محفوظا في حبه وبغضه فحفظ في بطشه ومشيه[3]».

---

[1] - "مجموع الفتاوى" (2 / 373).

[2] - "إيقاظ الهمم من جامع العلوم والحكم" (ص 524).

[3] - "الداء والدواء" (ص 286).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ومعنى هذه الأقوال أن العبد الولي يكون مسددا ومحفوظا بتسديد الله له وحفظه، إمدادا منه سبحانه وعونا له في حركاته وسكناته، وهذا مقابل كمال عبودية العبد لربه وخضوعه وانكساره وتذلله.

هذا الفهم هو فهم أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، لم يخالفهم-فيما أعلم- إلا المتصوفة حيث ذهبوا إلى أن المراد بقوله: «...كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به...» هو أن سمع الله هو عين سمع الولي، وبصره هو عين بصره. مدعين أن هذا هو ما يقتضيه ظاهر الحديث وما سوى هذا الفهم فهو صرف للنص عن ظاهره وتحريف له.

يقول ابن عربي الحاتمي الصوفي في كتابه الفصوص تحت عنوان: "فص حكمة أحدية في كلمة هودية":«اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة فإن الله تعالى يقول: (كنت سمعه الذي يسمع به، بصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها) فذكر **أن هويته هي عين الجوارح التي هي عين العبد**، فالهوية واحدة، والجوارح مختلفة، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة، تختلف باختلاف الجوارح، كالماء حقيقة واحدة مختلفة في الطعم باختلاف البقاع[1]».

ويقول في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانية:«والعمل مقسم على ثمانية أعضاء من الإنسان، **وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها، فلم يكن العامل غير الحق**، الصورة للعبد، والهوية مدرجة فيه، أي في اسمه لا غير، لأنه تعالى عين ما ظهر[2]».

ويقول في فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية: «فإذا نظرت في قوله: «كنت رجله التي يسعى بها، ويده التي يبطش بها، ولسانه الذي يتكلم به..»، إلى غير ذلك من القوى ومحلها الذي هو الأعضاء، لم تفرق، فقلت: الأمر حق كله، أو خلق كله، فهو خلق بنسبة، وهو حق بنسبة. والعين واحدة، **فعين صورة ما تجلى عين صورة من قبل ذلك التجلي. فهو المتجلي والمتجلى له**، فانظر ما أعجب أمر الله من حيث هويته، ومن حيث نسبته إلى العالم في حقائق أسمائه الحسنى[3]».

---

1 - "الفصوص" (ص:104).

2 - "الفصوص" (ص 151 - 152).

3 - "الفصوص"(ص: 121).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ويقول في فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية: «ومن أسمائه الحسنى: العلي على من؟ وما ثم إلا هو!! فهو العلي بذاته، أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو!! فعلوه لنفسه، **وهو من حيث الوجود عين الموجودات**. فالمسمى المحدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو. فهو العلي، لا علو إضافة، بأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه، ما شمت رائحة من الوجود، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع، فوجود الكثرة في الأسماء، وهي النسب، وهي أمور عدمية، وليس إلا العين الذي هو الذات فهو العلي لنفسه، لا بالإضافة، فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة، لذلك نقول فيه: هو لا هو. أنت لا أنت. قال الخراز - وهو وجه من وجوه الحق، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه: بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، **وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات**[1]».

وهكذا يقرر ابن عربي أن الحق سبحانه عين كل عضو وجارحة من كل إنسان، انتبه إلى قوله(وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها) ولا أظن أن القارئ في حاجة إلى شرح قوله: (وهو من حيث الوجود عين الموجودات) (وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات). وللاستئناس، يقول الغزالي مقررا هذا الشرح عند حديثه عن الله في كتابه مشكاة الأنوار حيث يقول: « له نزول إلى سماء الدنيا وإن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس، وتحريك الأعضاء، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: (صرت سمعه...الحديث) **وإذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره**[2]».

هذا الذي نقرأه هو الذي يطلق عليه عند أهل السنة بعقيدة وحدة الوجود وهي كفر عندهم، لأنها لا تعني إلا أنه ليس في الوجود إلا واحد هو الله أي أن الوجود هو الله، والله هو الوجود، وكل ما نرى هو عين الحق سبحانه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

[1] - "الفصوص" (ص 76 – 77).

[2] - (ص:15).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

تذكر قوله السابق في المبحث الثاني الصفحة 24 حيث يقول: «العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء».

إن ابن عربي قد عبر عن عقيدته بأقوى أسلوب وأوضح بيان مما يجعلها لا تحتاج إلى توضيح زائد. فقوله هذا هو شر من قول النصارى، لأن مقتضى قول هؤلاءالنصارى هو أن الله بذاته حال في المسيح عيسى عليه السلام. أما مقتضى قول ابن عربي فهو أن كل ما تقع العين عليه في الوجود فهو الله.

نعم حق لك أيها القارئ أن تعجب لأنه لا يتصور أن يقول مثل هذا القول إنسان فضلا عن مسلم. كما يحق لك أن تقول: ما لنا ولهذه الأشياء حتى نثيرها، وقد مضى عليها زمن طويل بل قرون. لاسيما إن غلب على ظنك أن مثل هذه النقول على ما لبسته في ظاهرها من انحراف وزندقة وكفر ما بعده كفر، أن يكون بين ظهرانينا من يعرفها فضلا عن أن يدافع عنها وعن أصحابها.

ولكن ما حيلتنا إن كان الواقع على خلاف ظنك، حيث يوجد بين ظهرانينا من يدافع عن هذا الرجل – أي ابن عربي- ويزكي فهمه لحديث الولاية، بل يعتقد الولاية له ويخاصم من خاصمه ويعادي من عاداه.

هذا عبد السلام ياسين يقول في كتابه الإسلام بين الدعوة والدولة: «وهكذا يقف أمثال الشيخ ابن تيمية موقف الخصم العنيد من **رجال الله**، فهو يكفر ابن عربي لأن هذا **الولي** حاول أن يعبر عما لا يعبر عنه، وما عدا الصوفي الكبير أن أنبأ بما تحمله الألفاظ عن الحديث القدسي المتواتر الذي أخبرنا فيه المولى عز وجل أنه يصبح عين العبد وسمعه ويده[1]».

هل صحيح أن ابن عربي لم يتجاوز في ما قاله حد الإخبار عما أخبر به الرسولﷺ؟

ربما تستوقفني أيها القارئ معترضا تارة ومتسائلا تارة أخرى بقولك: هل معنى كلامك هذا، أن ياسين يذهب مذهب غلاة المتصوفة في الاعتقاد وعلى رأسهم ابن عربي الحاتمي؟!

---

[1] - (ص: 361 ـ 362).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لقد مر بنا مذهب ابن تيمية وابن القيم وابن رجب في شرح حديث الولاية كما مر بنا قول ابن عربي والغزالي، مما يدل على أن كلا من أهل السنة وأهل التصوف اختلفا في نص الولاية على قولين لا ثالث لهما.

القول الأول: أن المراد من الحديث أن الله يحفظ عبده في سمعه وبصره وبطشه ومشيه فلا يكون مراد العبد إلا فيما يكون مراد الله. وهذا قول أهل السنة.

القول الثاني: هو أن سمع الله وبصره ويده ورجله هو عين سمع العبد وبصره ويده ورجله وهذا هو قول غلاة المتصوفة.

وعبد السلام ياسين لم يكتف بالثناء على ابن عربي وكلامه وكل من قال بقوله -كما سنرى في المباحث الآتية - بل جعل كلامه لا يتجاوز حد الإخبار عما أخبر به الرسولﷺ ومعنى هذا أن ياسين يقرر بكل جرأة أن كلام ابن عربي هو عين مراد الرسولﷺ من نص الولاية.

انظر إلى هذا القول الشبيه بالقول السابق حيث يقول - ياسين - «وإن قال أحدهم ما لا يسعه القول وظهر من لفظه ما لا تتحمله حويصلة الضعفاء من الرجال، فكلامهم لا يعدو الإخبار عما أخبر به الله في الحديث القدسي المتواتر[1]»

لم يكتف ياسين بالتقرير والمدح والثناء والاعتذار لهم – أي المتصوفة - بل أضاف إلى هذا الأمر الطعن بالانحراف والتعطيل والتحريف فيمن خالفهم وخاصمهم.

وهنا أوقفك أيها القارئ وأسألك: ما تقول في رجل يمدح قولا ويثني على أصحابه، ويقدح في خلافه ويهاجم القائل به وليس له في ذاك الموضوع إلا قولان ؟

أيكون معتقدا لهما جميعا؟ وهذا ممتنع لامتناع الجمع بين الشيء وضده.

أم يكون معتقدا لأحد دون الآخر؟ وهذا لا يكون إلا للممدوح عنده.

وقبل أن تجيب اقرأ ما كتبه- ياسين- في كتابه الإحسان1 حيث يقول بعد نقله كلاما لابن تيمية:« قال هذا شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أورد حديث

---

[1] - "الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص 351 – 352).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الولاية في بداية كتابه(الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ولم يتوقف فيه كما توقف الذهبي بل بنى عليه واهتبل به.

والعجب لرجل من أهل الحديث مذهبه إثبات الصفات وإمضاؤها كما جاءت، يتحول معطلا لما يسمع من جلال ولاية الله لعبده المحبوب حتى يكون سمعه وبصره ويده ورجله! عجب! ثم عجب! ثم عجب لمن يحارب المؤولين في الصفات عمره، ويذهب هو يؤول ويعطل في مثل هذا الخبر العظيم الذي بلغه من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والحمد لله أن هناك هيبة الجامع الصحيح تحول دون المحرفين ودون طمس معالم الطريق[1]».

ومعنى هذا أن ياسين يتهم ابن تيمية بصرف نص الولاية عن ظاهره، وبتحريف وإنكار ما يجب فهمه من قولهﷺ «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به...الحديث» حيث ذهب ابن تيمية إلى أن المراد الشرعي المطلوب من هذا المقطع من الحديث، هو حصول الموافقة بين العبد والرب، فلا يكون مراد العبد إلا فيما يوافق مراد الرب، وذلك باستعمال -العبد- سمعه وبصره ويده ورجله فيما يرضي الرب ويريده، تسديدا منه سبحانه وتوفيقا وحفظا.

فإذا كان ياسين يعتبر المعنى الذي ذهب إليه أهل الحديث، تحريفا لنص الولاية وتعطيلا له، فما هو المراد الصحيح عنده؟

وقبل مناقشته لا بد من التنبيه على ثلاثة أمور مهمة وذلك من خلال كلامه.

أولا: إثباته أن ابن تيمية من أهل الحديث، مذهبه هو إثبات الصفات وإمضاؤها كما جاءت، هذا كلام صحيح، إلا أنه لا بد له من إضافة وقيد حتى يتضح المراد؛ لأن هناك من أهل البدع من يتستر وراء هذا التعريف وهم المفوضة. فإثبات الصفات عند أهل السنة مقيد بالعلم بمعانيها وتفويض كيفيتها إلى علم الله. وذلك كما ورد عن الإمام مالك في قوله لما سئل عن الاستواء: " الاستواء معلوم والكيف مجهول...". وهذا القيد هو الفاصل المميز بين مذهب أهل الحديث ومذهب أهل التفويض الذين يقولون بإثبات الصفات-كما يزعمون - مع تفويض المعنى والكيفية معا. يقول ابن عثيمين:«وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ويدعون أن هذا

1-" الإحسان" (1: ص 171).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالا أحيانا وتفصيلا أحيانا وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل[1]».

ثانيا: ما علاقة حديث الولاية بمذهب أهل الحديث في إثبات الصفات؟ لأن حديث الولاية يتكلم عن صفات الولي المقرب التي هي صفات المخلوق، وموضوع الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة هو دراسة الصفات اللائقة بالخالق نفيا وإثباتا.

فتنزيل قاعدة أهل الحديث في إثبات الصفات على حديث الولاية_ وذلك كما يريد ياسين من ابن تيمية_ هو تنزيل باطل لأنه مركب على قياس فاسد مقتضاه قياس المخلوق على الخالق، وغايته القول بمذهب أهل وحدة الوجود جزما. يقول ابن عبد البر: «القياس غير جائز في صفات الباري تعالى لأنه ليس كمثله شيء[2]».

وحتى تكتمل الصورة في الذهن نضرب لذلك مثالا: فمذهب أهل الحديث يقرر من خلال كثير من النصوص[3] أن لله تعالى يدين اثنتين حقيقيتين لا تشبهان أيدي المخلوقين مع تفويض العلم بكيفيتهما إلى الله سبحانه كما لا يصح تحريف معناهما إلى القوة أو النعمة وذلك كما هو قول الأشاعرة والماتريدية، وخلافا للمفوضة الذين يقولون بأن الألفاظ التي تدل على صفات الخالق مجهولة لا يعرف معناها يستوي فيها العربي والعجمي.

فتنزيل قاعدة أهل السنة في إثبات أسماء الله وصفاته علىقوله(... كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها...) يلزمنا بإثبات أن سمع الله هو عين سمع العبد حقيقة مع تفويض

---

[1] - "القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى" (ص 35). ومن أراد التوسع فلينظر "منهاج السنة النبوية"(لابن تيمية) (ص 116 ج 11)، و"مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة" (لابن القيم): (ص: 73).

[2] - "التمهيد" (لابن عبد البر)؛ (ج 19 ص 232).

[3] - مثل قوله تعالى "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" سورة ص الآية75 وقوله تعالى " بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" المائدة (64) وقوله تعالى "وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة" الزمر 67 إلى غيرها من الآيات و الأحاديث

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الكيفية، وأن بصر الله هو عين بصر العبد حقيقة مع تفويض الكيفية، وهكذا...

وهذا قول باطل وهو عين القول بوحدة الوجود، ولم يقل به أحد من أهل السنة ولا عرف عن طائفة من طوائف المسلمين، إلا هؤلاء المتصوفة الغلاة أمثال ابن عربي والحلاج والغزالي[1]...، إلا أن ياسين يريد أن يقدمه في قالب مذهب أهل السنة والحديث مكرا وتلبيسا على قرائه ومريديه، متظاهرا لهم بأنه يريد تحقيق مذهب السلف في إثبات الصفات وهذه مغالطة منه.

«لأن المغالطة هي قياس مرتكب من مقدمات شبيهة بالحق تفسد صورته بألا يكون على هيئة منتجة لاختلال شرط معتبر[2]» وهذا حاصل في كلام ياسين.

وكيف لا وهو القائل: «وبالزيادة على ما فرض الله على المؤمن، وبإحسان هذا العمل التطوعي تنال درجة الإحسان، وجزاء المحسن أن يصبح الله عينه التي يبصر بها وأذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، لا أتحدث عن اجتهاد، لكن أروي حديثا قدسيا هو في درجة أمتن الأحاديث. لأنه حديث متواتر، **أما كيف يصبح الله تعالى عين العبد وسمعه ويده** فالتعبير عنه كان مزلقة للصادقين لأنهم حاولوا التعبير عما لا يعبر عنه بالكلام فرماهم الناس بالزندقة[3]».

أرجو أن ينتبه القارئ إلى قوله: «أما كيف يصبح الله تعالي عين العبد وسمعه ويده»، ثم نتساءل جميعا من هم هؤلاء الصادقون الذين حاولوا التعبير عما لا يعبر عنه بالكلام؟ إنهم بلا شك ابن عربي وأمثاله القائلون بقوله. تذكر كلامه (ياسين) السابق: « فهو -أي ابن تيمية- يكفر ابن عربي لأن هذا الولي حاول أن يعبر عما لا يعبر عنه وما عدا الصوفي الكبير أن أنبأ بما تحمله الألفاظ عن الحديث القدسي المتواتر الذي أخبرنا فيه المولى عز وجل أنه يصبح عين العبد وسمعه ويده[4]».

وهاهنا لا نحتاج إلى كبير عناء للتعليق فالأمر واضح.

---

[1] - كما سيمر بنا في المباحث الآتية

[2] - "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم"؛محمد بن إبراهيم الوزير (507/2).

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص 62 – 63).

[4] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص 361 – 362).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ثالثا: هل ما قاله ياسين صحيح؟ بأن ابن تيمية انحرف عن مذهبه الأصلي الذي هو إثبات الصفات والأخذ بظاهر النصوص، وأنه قد ذهب مذهب أهل التأويل والتعطيل الشيء الذي جره إلى تحريف نص الولاية وطمس معالم الطريق أم أن الواقع - على الصحيح - في الانحراف هو ياسين؟ وذلك لمخالفته مذهب أهل السنة في شرح حديث الولاية وأخذه بقول ابن عربي الذي يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق، بل جعل الخالق هو عين المخلوق، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. _ مع ضرورة استحضار بعد المسافة العلمية بينهما_

ولمعرفة أي الرجلين أحق بوصف التحريف والتعطيل، نجيب من زاويتين:

الأولى: فقد تقدم الجواب عنها وذلك ببيان الفارق الموجود بين موضوع الأسماء والصفات وموضوع نص الولاية.

الثانية: فإنه لا بد من الوقوف على بيان السلف للمراد من ظاهر الكلام والتأويل الممنوع الذي يجب تجنبه. لأن سبب الانحراف في هذا الموضوع هو إعراض المرء عند التأويل عن الظاهر اللائق من اللفظ باعتباره _ في نظره_ قدحا في حق الخالق، مما يلزمه اعتقاد المعنى الفاسد باعتباره تنزيها له سبحانه عن النقائص.

«فالتأويل هو ما يؤول إليه الشيء، وتأويل الكلام هو نفس مدلوله الذي يؤول إليه وهي الحقيقة الموجودة في الخارج كما في قوله تعالى:﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا[1]﴾وقوله: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله... [2]﴾.

وهو – أي التأويل- في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث فمرادهم به معنى التفسير والبيان.

أما المخالفون لأهل السنة من معتزلة وجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره. وهذا هو المعنى الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه حتى صار هو المتبادر الوحيد إلى الذهن في مقابل لفظ التأويل.

---

[1] - (سورة الكهف الآية 78).

[2] - (سورة الأعراف الآية 53).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وبالجملة فالتأويل ينقسم إلى صحيح وفاسد. والصحيح هو الذي يوافق ما دل عليه الكلام. والكلام يكون مجردا أو مقرونا، فإذا تجرد عن القرائن فهم معناه المراد عند التجرد، وإذا اقترن بقرائن- لفظية كانت أو معنوية - فهم معناه المراد عند الاقتران.

والفاسد هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالفه. (وذلك إما بعدم اعتبار التجريد أو بعدم الالتفات إلى القرائن).

ومعنى هذا أنه على المتأول أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي ذهب إليه أولا، ويبين تعيين ذلك المعنى ثانيا، وتعيين المعنى لا يكون إلا بدليل صارف للفظ عن حقيقته وظاهره، فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل[1]» فمثلا قول القائل: رأيت اليوم أسدا، فلا يحمل على الشجاع إلا بقرينة زائدة فإن لم تظهر فاللفظ للبهيمة. هذا باعتبار الكلام مطلقا.

أما كلام الله ورسوله الذي يتضمن صفات الله سبحانه وأسماءه فيلزم فيه أن يكون المعنى الذي يفهم منه مما يجوز نسبته إلى الله تعالى، وألا يعود على شيء من صفات كماله بالإبطال والتعطيل.

فالفهم الناتج عن بيان المراد الحقيقي من الكلام المجرد أو المقرون بهذه الشروط المعتبرة هو المراد بالظاهر عند أهل السنة والجماعة.

يقول ابن عثيمين:«فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بتركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض[2]». فكل فهم يستلزم ما لا يليق بالله تعالى من تنقيص أو تعطيل أو تشبيه أو تمثيل يجب إنكاره. لأنه ليس هو الظاهر المراد من الآية أو الحديث قطعا، وإنما هو عين التحريف والتأويل فيجب تجنبه مع إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه _في كتابه أو على لسان رسولهﷺ _ من أسماء وصفات بلا تشبيه، وتنزيهه سبحانه عن النقائص بلا تعطيل.

---

[1] - منتقى من كلام لابن القيم الجوزية من كتابه (مختصر الصواعق المرسلة) وذلك ما بين فصل (في بيان حقيقة التأويل لغة واصطلاحا) وفصل (ما يقبل التأويل من الكلام وما لا يقبله). وانظر كتاب (الإكليل في المتشابه والتأويل) (لابن تيمية).

[2] - "القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى" (ص 48 – 49).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وبعد هذا البيان الوجيز هل يقال: ظاهر حديث الولاية أن الله يكون عين العبد وسمعه وبصره ويده...؟

أم يقال: ظاهر الحديث أن الله تعالى يحفظ الولي ويسدده في سمعه وبصره ويده ورجله...؟

أما القول الأول فظاهر فساده ومن الممتنع أن يكون هو الظاهر المراد من النص بحال من الأحوال، إلا باعتبار قول أهل الجنون أو أهل الزندقة.

فإذا اتضح هذا الأمر تعين لزاما القول الثاني الذي هو عين قول أهل السنة.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «فانظر كيف قال في تمام الحديث" فبي يسمع، وبي يبصر، ولئن سألني، ولئن استعاذني " فميز بين الرب وبين العبد... إلى أن قال... والعبد العارف بالله تعالى من تتحد إرادته بإرادة الله بحيث لا يريد إلا ما يريد الله أمرا به ورضى، ولا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، ولا يلتفت إلى عذل العاذلين، ولوم اللائمين...[1]».

ويقول ابن ابي العز في شرح العقيدة الطحاوية[2]: « والولي خلاف العدو، وهو الدنو والتقرب، فولي الله: هو من والى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته... ».

ويقول ابن رجب في كتابه "اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى[3]" عند حديثه عن المحبة الواجبة: «وهي المحبة التي توجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات، وكراهة ما يكرهه من المحرمات، فإن المحبة التامة تقتضي الموافقة للمحبوب في محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه خصوصا فيما يحبه ويكرهه من المحب نفسه، فلا تصح المحبة بدون فعل ما يحبه المحبوب من محبيه وكراهة ما يكرهه المحبوب من محبيه...فإن الإيمان الكامل يقتضي محبة ما يحبه الله، وكراهة ما يكرهه الله عز وجل، والعمل يقضي ذلك... ».

ويقول ابن عثيمين ردا على القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد: من وجهين.

---

[1] - (ج 11 ص 75- 76 – 77).

[2] - (ج 2- 508).ط. مؤسسة الرسالة.

[3] - (ص 115 - 116 - 117).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الوجه الأول: «أن الله تعالى قال: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه وقال: ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه). فأثبت عبدا ومعبودا، ومتقربا ومتقربا إليه ومحبا ومحبوبا وسائلا ومسؤولا ومعطيا ومعطى ومستعيذا ومستعاذا منه ومعيذا ومعاذا. فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفا في الآخر أو جزءا من أجزائه.

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعا وبصرا ويدا ورجلا لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، **فكيف يسوغ أن يقال أنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**[1]».

وبعد قوله حفظه الله بقول أهل السنة أن غاية الحديث هو حصول الموافقة بين العبد والرب في المحبوب والمكروه تسديدا من الله لعبده وتوفيقا قال: «**وهذا ما فسره به السلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة**[2]».

وختاما لهذا المبحث نقول لعبد السلام ياسين لو سلمنا جدلا بصحة قولك الذي هو إنزال قاعدة أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات على مثل هذه النصوص. فما يكون قولك في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول اللهﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده. يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب

---

[1] - "القواعد المثلى": (ص 68 – 69).

[2] - "القواعد المثلى": (ص 75 – 76) بتصرف.

العالمين؟ قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

هل يستطيع ياسين أن يقول أن ظاهر قول تعالى على لسان رسوله ﷺ:« يا بن آدم مرضت فلم تعدني»،وقوله:«يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني»،وقوله: «يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني» أن ظاهره أن الله تعالى يمرض ويجوع ويعطش وأما كيفية مرضه وجوعه وعطشه نفوض علمها إلى الله؟! !

وذلك كما قال في حديث الولاية، تماشيا _ حسب زعمه_ مع قاعدة أهل السنة في الأسماء والصفات. تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا.

أو أنه يقول: إن المرض المضاف إلى الله في النص والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه المراد به مرض العبد واستطعامه واستسقاءه. وأن هذا هو مراد الله من هذا النص وذلك بقوله "أما علمت أن عبدي فلان مرض" وقوله: " أما علمت أنه استطعمك عبدي..." وقوله: " أما علمت أنه استسقاك عبدي فلان"...

وليس في هذا المعنى صرف للكلام عن ظاهره ولا تحريف ولا انحراف، وأن هذا هو الظاهر المراد، لأنه هو اللائق بالله تعالى لكمال صفاته، بل هو الذي يقتضيه سياق النص ويدل عليه.

فإذا كان قولك هو هذا القول الثاني وهو لازمك. فكيف يكون الله هو عين العبد الولي الذي يمرض ويجوع ويعطش ويكون سمعه وبصره ؟؟ !! اللهم إلا...!!

ومن هنا يمكننا أن نقول أن المنحرف على الصحيح هو ياسين، وأن ابن تيمية لم يخرج عن ظاهر النص والمراد منه، وذلك للقرينة الدالة على ما فسره به وهي التمييز الحاصل في النص بين الرب والعبد - فبي يسمع وبي يبصر ولئن سألني ولئن استعاذني - وأن هذا هو ما يقتضيه النص لكمال صفات الرب التي هي من خصائصه سبحانه. وما على عبد السلام ياسين إلا أن يتوب إلى الله، وذلك بإظهار مذهب أهل الحديث وتبنيه فهما وعملا ، وإلا فهو لاحق لا محالة بمذهب أهل الزندقة إن لم يرض طبعا بأن يكون مجنونا.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الثالث:

العقيدة الصوفية

سر خفي وكفر جلي

أبرز ما يميز الأفراد والطوائف والجماعات بعضها عن بعض عقائدها، وعقيدة كل فرقة هي المعيار الذي يحدد مدى قربها أو بعدها عن الحق، ويحدد مدى إصابتها أو مجانبتها له، ولم تعتبر فرقة من الفرق التي نشأت خلال المسيرة الإسلامية عبر التاريخ مخالفة لأهل السنة إلا بمخالفتها العقدية.

فأهل السنة لهم عقيدتهم، والخوارج لهم عقيدتهم، وكذا المرجئة، والشيعة، والقدرية والجبرية، والأشاعرة، والماتريدية، والأباضية... فكل فرقة إلا ولها عقيدتها التي تفصلها عن غيرها من الفرق، ولا ينتسب إليها المنتسب إلا بحسب انتسابه العقدي.

فالسني سني لتبنيه عقيدة أهل السنة، وكل منتسب وإن ادعى التسنن فإن العبرة بعقيدته التي عقد عليها قلبه.

هذه المقدمة هي عبارة عن تنبيه للقارئ كي لا يغيب عن ذهنه ما سبق تقريره أن التصوف مدرسة مستقلة ومذهب موحد، له برنامج تحكمه قواعد وأصول تكون نتيجتها عقيدة صوفية تتمثل في خلق وصنع عقلية معينة تمثل المدرسة الصوفية وتضمن لأصحابها صحة انتسابهم إليها كماتضمن لها – أي المدرسة- استمراريتها باعتبارها منظومة موحدة.

يقول الجنيد: « الصوفية أهل بيت واحد[1]».

وهذا ابن عجيبة المغربي يقول: «فمرجع كلام الصوفية في كل باب لأحوالهم، وإلا فلا تنافي بين أقوالهم لمن تأملها... ومذهب الصوفية هو

---

[1] - "الرسالة القشيرية" (ص 218).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الاتفاق في الأصول والفروع. أما الأصول فنهايتهم الشهود والعيان وهم متفقون فيه لأنه أمر ذوقي لا يختلف[1]».

ويقول عبد القادر عيسى شاذلي الطريقة: «إن الطريق واحدة وإن تعددت المناهج العملية، وتنوعت أساليب السير والسلوك تبعا للاجتهاد وتغير المكان والزمان، ولهذا تعددت الطرق الصوفية وهي في ذاتها وحقيقتها وجوهرها واحدة[2]».

وهذا عبد الحليم حمود _شيخ الجامع الأزهر _ المزكى عند عبد السلام ياسين حيث يقول في مدحه «الدكتور عبد الحليم محمود شاب معاصر، هو من علماء المسلمين الأجلاء، تعرفت عليه في بعض كتبه فوجدت عنده نسمة أهل الله وأحببته قبل أن أطلع على كتابه في سيرة مولانا أبي الحسن الشاذلي.

ولما قرأت هذا الكتاب علمت من أين كان للرجل طلاوة وحلاوة وتبدي الأقلام ما تخفيه الصدور، الدكتور عبد الحليم محمود رجل صوفي متعلق بروحانية السيد الشاذلي رضي الله عنه[3]».

يقول عبد الحليم محمود:«وفي الناس من يرى التصوف مذاهب وفرقا وطوائف، ولكن هذا التفكير المنحرف تأتى إلى القائلين به من نظرتهم إلى علم الكلام والفلسفة، ففي علم الكلام أشاعرة ومعتزلة ومشبهة، وفي الفلسفة أرسطيون، وأفلاطيون، وديكارتيون... والنفوس مهيأة لقبول فكرة الطوائف في جميع العلوم النظرية، ولقد خلط الكاتبون بين هذه الدراسات والتصوف فزعموا أن في التصوف مذاهب وفرقا وطوائف. ولو أمعنوا النظر لعلموا أن التصوف تجربة روحية، وليس نظرا عقليا، وإذا كان النظر العقلي يفرق الناظرين إلى طوائف وفرق، فإن التجربة لا يختلف فيها اثنان... فإن التصوف وهو تجربة مذهب واحد لا تعدد فيه ولا خلاف...ولا يستساغ الخلط بين طرق التصوف وهي وسائل، وبين الغاية، وهي التصوف نفسه، فطرق التصوف متعددة مختلفة، وبعضها أوفق من بعض، وبعضها أسرع من بعض، ولكنها على اختلافها وتعددها، تؤدي إلى هدف واحد وغاية واحدة.

التصوف إذن مذهب واحد بصيغة "المفرد" لا مذاهب بصيغة "الجمع"[1]».

---

[1] - "الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية"؛ (ص 102- 103).ط. دار الفكر.

[2] - حقائق عن التصوف ص: 272.

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص381-382)

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ونستمع إلى عبد السلام ياسين وهو يقرر هذه الحقيقة حيث يقول:«نجد كثيرا من الناس يختارون، إن لزم الاختيار، تصوف الغزالي على تصوف غيره، وهم لو علموا لتبين لهم أن الطريقة واحدة هي طريق القوة بالاصطلاح المتأخر، وهي المنهاج النبوي أولا على الصحبة. وإن كان بعض أهل الله يعبر عن تجربته تعبيرا مخالفا لتعبير الغزالي فليس ذلك السلوك الإيماني الإنساني المسمى صوفيا أصنافا، بل هو ألوان ودرجات.. ويعذر من لم يجد شيخا يربيه ويأذن له إن لم يعلم أن القوم رضي الله عنهم يستقون من معين واحد، ولو اختلفت المشارب...[2]».

إذا كان مرجع الأمر عند القوم إلى الذوق والتجربة فما دور الكتاب والسنة؟!!

هذه النقول نستخلص منها أنه لا تنافي ولا تعارض بين طرق الصوفية وجماعاتها في أهدافها ومشاربها، من شاذلية، وتجانية، ودرقاوية، وقادرية، وبودشيشية، ونقشبندية، وحصافية، ورفاعية وعيساوية، وجشتية، وكتانية... وكذا ياسينية (العدل والإحسان) وذلك باعتبارها وسائل.

كما أنه لا تنافي بين مشايخ المتصوفة وأسيادهم في وحدة عقيدتهم؛ من أبي الحسن الشاذلي، وأحمد التجاني، وأحمد الرفاعي، وأبي إسحاق الجشتي، وأبي العباس المرسي، وأبي حامد الغزالي، وابن عربي الحاتمي، وأحمد الفاروقي السرهندي...وكذا عبد السلام ياسين.

وليس هناك أدل على هذا الأمر بوضوح جلي من سيرهم على خط واحد يتمثل بقوة في القواعد التي تعتبر الروابط الكلية لحفظ مذهبهم.

من أعظم هذه القواعد ستر المذهب وعدم كشفه وإفشائه لمن هو دونهم. وهذا الأمر قد سبق التنبيه عليه في مبحث سابق، والذي نهدف إليه في هذه الكرة شيء آخر غير مسألة الستر: يقول لسان الدين بن الخطيب الصوفي الكبير -مات مقتولا بسبب كتابه "**روضة التعريف** "-: «.. وثالثها خاصة الخاصة ويختص به من علوم الشريعة علم الحد... وعلم الإلهام والعلم اللدني والموهبي، والإلهي، ويحتوي على معان لا يقدر أن يعبر عنها من اطلع عليها، إنما هو استشراف واطلاع على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

---

[1] - "التعرف لمذهب أهل التصوف" (ص 12- 13) (لأبي بكر محمد الكلابادي).

[2] - "الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص 351- 352).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

بشر، وهو بحر لا يوصف بطول ولا عمق ولا عرض ولا نقطة ولا خط، إنما هو ذوق تتلون لذاته في الطعمة الواحدة إلى ما لا ينحصر عدده ولا ينتهي أمده. وعلم النبوة.. **وهذا العلم هو الذي لا يجوز كشفه ولا إذاعته ولا ادعاؤه، ومن كشفه وأذاعه وجب قتله واستحل دمه...**[1]».

ويقول الغزالي الحجة معلقا على قول الناظم:

يارب جوهر علم لو أبـــوح به لـقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحـل رجال مسلمـون دمي يــرون أقبــح ما يأتونه حسنـا

يقول - الغزالي -: والمراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه، هو العلم اللدني، الذي هو علم الأسرار، لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قال بعضهم، لأن ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن..[2]».

ما يثير الانتباه في هذين النصين وفي غيرهما من النصوص أمور منها مسألة استحلال الدم ثم علاقتها بالعلم اللدني، هذا العلم الذي كثيرا ما يهتبل به عبد السلام ياسين ولا يمل من ذكره في كتبه بين الفينة والأخرى.

مسألة غريبة، جديرة بالاهتمام والتأمل.

وخصوصا عندما نعلم أن المتصوفة سلموا لها واهتموا بها وحذروا منها نظما ونثرا، وهذا لا يكون إلا في أمر ذي بال.

اسمع إلى السهروردي وهو يقول:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح[3]

وهذا أبو مدين الغوث المغربي يقول:

وفي السر أسرار دقاق لطيفة تراق دمانا جهرة لو بها بحنا[4]

ويقول الإمام السرهندي حسب تعبير ياسين:« لو أظهرت شمة من تلك المعاملة التي هي مربوطة بتلك الولاية قطع البلعوم وذبح الحلقوم[1]».

---

[1] - روضة التعريف في الحب الشريف (ص 431-432)

2 -"اليواقت والجواهر" (ج 1 ص 28)؛ للشعراني. دار الكتب العلمية.

[3] - "الكشف عن حقيقة الصوفية": (ص 53).

[4] - "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" (ص: 39) دار الفكر.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الذي يظهر أن الصوفي بين خيارين لا ثالث لهما: إما كتم السر أو إراقة الدم.

فما هذا السر؟ وما هي حقيقته؟ حتى كان قتل النفس وإهدارها هو حكم المجاهر به.

يحاول السرهندي الإمام كما حاول ويحاول كل متصوف إيجاد مخرج وتبرير مقنع لهذه القضية المرتبطة بحياة كل صوفي وهي ورطة عظيمة ومعضلة جسيمة، حيث يقول فيما نقله عنه ياسين في كتابه الإحسان2: «إن تحقق الإنسان بتلك الأسرار العرفانية هو كمال الإيمان والتعبير عنها بعبارة كيفية عين الكفر والإلحاد، ينبغي أن يستعمل السالك هذه الحكمة شعارا له: (من عرف الله كَلَّ لسانه) في هذا المقام[2]».

عجبا كيف يكون التعبير عما يتحقق به الإنسان من كمال الإيمان عين الكفر والإلحاد؟!

ألا يمتنع عند العقلاء أن يكون الشيء بذاته هو عينه ضدا لنفسه؟! فإن كان الجواب: بلى؛ فكيف لم يمتنع عند هؤلاء القوم أن يكون الإيمان والعرفان هو عين الكفر والإلحاد؟!.

وأين تكمن الحكمة في عدم تعبير العبد وإفصاحه عما عرفه الله به من إيمان وعرفان؟!

نحن الآن أمام لغز عظيم لو حاولنا فهمه رفع الإشكال وزالت العقد. وخصوصا أن الصوفية الغلاة كالسرهندي، يسطرون بأقلامهم اعترافا منهم بأن كلامهم وتعبيرهم عما يحصل من أحوالهم هو كفر وزندقة وإلحاد وذلك بما يقتضيه ظاهر ألفاظهم.

يقول الجنيد كما جاء في "الإحياء": «أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم[3]».

---

[1] -" الإحسان":(2 ص 240).

[2] - "نفس المرجع" (ص 280).

[3] - "إحياء علوم الدين": (449/4).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لست في حاجة إلى التذكير بأن كلمة العامة في اصطلاح الصوفية المراد بها علماء الشريعة.

ويقول أيضا: «وهؤلاء (أي الصوفية) هم المدلون على الله تبارك وتعالى، والمستأنسون بالله تعالى، هم جلساء الله تعالى، قد رفع الحشمة بينه وبينهم، وزالت الوحشة بينهم وبينه، فهم يتكلمون أشياء هي عند العامة كفر بالله تعالى...[1]».

وهذا الغزالي يقول: « ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، ولقد قال بعض العارفين: (إفشاء سر الربوبية كفر)[2]».

ويقول عبد الوهاب الشعراني: «... ونور بصائرهم، وطهر سرائرهم، وأطلعهم على السر المصون، وصانهم عن الأغيار... لأنهم عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون، فإذا مر عليهم ولي من أولياء الله نسبوه إلى الزندقة والجنون.. [3]».

من هم المجرمون؟ أترك للقارئ فرصة اكتشاف مدى تمرسه على فهم مصطلحات المتصوفة وإشاراتهم.

نعم، من علم من هم الأولياء الذين رموا بالزندقة والجنون علم يقينا من هم المجرمون.

يقول عبد السلام ياسين: «... ويعذر إن وجد في كلامهم ما يكفرهم عليه الناس[4]».

ويقول أيضا: « أما كيف يصبح الله تعالى عين العبد وسمعه ويده، فالتعبير عنه كان مزلقة للصادقين، لأنهم حاولوا التعبير عما لا يعبر عنه بالكلام فرماهم الناس بالزندقة[5]».

---

[1] - "قوت القلوب": أبو طالب المكي: (ص 77 /2)

[2] - مشكاة الأنوار المقدمة.

[3] - "الطبقات الكبرى": (ص: 5).ط.دار الكتب العلمية بيروت.

[4] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص:352).

[5] - "نفس المرجع": (62 – 63).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

هم يكتمون سرا ويتواصون على كتمانه خوفا من القتل. وليس ذلك إلا لأن هذا السر هو كفر بما تقتضيه حقيقة ألفاظهم عند محاولتهم التعبير عنه وهذا باعترافهم. ومعنى هذا أنهم على وعي كامل بحقيقة السر ومضمونه.

من هنا نقفز قفزة لنتجاوز الحاجز ولنتمكن من معرفة السر، ولا يتأتى إلا بأحد ثلاثة أمور: إما بالاطلاع عليه بعينه، أو التعرف على أصحابه والمصرحين به أو بهما جميعا.

يقول ابن خلدون:«قتل الحلاج بفتوى أهل الظاهر وأهل الباطن، أهل الشريعة وأهل الحقيقة لأنه باح بالسر فوجبت عقوبته[1]».

الآن نحن أمام شخصية بارزة في المدرسة الصوفية يدعى صاحبها الحسين بن منصور الحلاج. نعم؛ قتل مصلوبا بفتوى العلماء. إلا أنه قد يحصل إشكال للقارئ من خلال ما قاله ابن خلدون.

هذا الإشكال هو ما سر هذا التوافق الحاصل بين أهل الظاهر علماء الشريعة، وأهل الباطن مشايخ المدرسة الصوفية في الحكم على الحلاج بالقتل مع تباينهما؟!

أقول: نعم، قتل بفتوى أهل الباطن وهو منهم لأنه أفشى سرهم لغيرهم وباح به، فهو في حكم خائن العهد الذي بينهم، ولهذا وجب قتله.

أما أهل الظاهر- حسب تعبير المتصوفة - فلا. لأن حكم القتل الصادر عنهم في حق الحلاج هو لكفره عندهم بما تقتضيه ألفاظه من خروج ومروق عن دينه وملته.

قال القاضي عياض: «أجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية، وقاضي قضاتها، أبو عمرو المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلاهية وقوله بالحلول وقوله أنا الحق[2]».

فلا توافق إذن في شأن الحلاج لأنه شتان بين طائفة تعتقد إيمانه وولايته وأخرى تعتقد كفره وزندقته.

نرجع إلى أصل الموضوع الذي هو معرفة سر الصوفية والذي يظهر جليا من خلال قول ابن خلدون أنه عين مقالة الحلاج.

---

[1] - "إيقاظ الهمم في شرح الحكم":(ص: 74، وص: 347).

[2] -" الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (ج2 ص 592) للإمام القاضي عياض. ط دار الفكر بيروت.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يؤكد هذا ابن الفارض -وهو منهم- بقوله:« إنما قتل الحلاج لأنه باح بسره إذ شرط هذا التوحيد الكتم[1]».

كما يؤكده تأكيدا أحمد بن محمد بن عجيبة بقوله بعد نقله لأبيات من نظم الحلاج التي هي:

أنا أنت بلا شـــك فسـبحانك سبحاني

وتوحيـدك توحيدي وعــصيانك عصياني

وقال أيضا:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنـا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظـاهرا في صورة الآكل والشارب

حـتى لقـد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فعلق - ابن عجيبة - على هذه الأبيات بقوله:«وبإظهار هذا ومثله قتل- رضي الله عنه-، فمن لطف الله تعالى ورحمته أن ستر ذلك السر بظهور نقائضه، صونا لذلك السر أن يظهر لغير أهله ومن أفشاه لغير أهله قتل كما فعل بالحلاج[2]».

نقطة اعتراضية - أي سر هذا ؟ وهل بقي السر سرا بعدما سطره في كتابه بأوضح صورة وتمثل بصاحبه، أليس هذا استخفافا بعقل المسلم الموحد؟

نعم؛ قتل"رضي الله عنه" وكأن ابن عجيبة يقول لأهل السنة علماء الشريعة موتوا بغيظكم، وكيف لا وهو يترضى عمن قال " سبحاني "؟!

نعم، أهل الشريعة هم _ في نظره _ عامة؛ لم يفهموا ولن يفهموا كلام العارفين بالله ولم تستسغه حوصلتهم _ كما وصفهم عبد السلام ياسين_فحكموا بكفر الحلاج -رضي الله عنه!- وبكفر من قال بقوله، يا للبغي.

---

[1] - " مصرع التصوف" (ص:153).

[2] "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" (ص: 156).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

حاول _ الحلاج_ التعبير عما لا يعبر عنه فكفره الجهلة. وأقواله ليست هي إلا من قبيل الأسرار العرفانية ودقائق التوحيد. فإياك أن تكون أيها الموحد من أهل الشريعة العوام!!

يقول ابن عجيبة: «فإذا انفرد القلب بالله، وتخلص مما سواه، فهم دقائق التوحيد وغوامضه التي لا يمكن التعبير عنها وإنما هي رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها ولا تفشى إلا لهم وقليل ما هم، ومن أفشى شيئا من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه، وتعرض لقتل نفسه...[1]».

هنا نتساءل: هل فهم الرسولﷺ دقائق التوحيد وغوامضه؟

وهل أفشاه إن كان قد علمه أم أسره على أمته؟

وهل هذا الذي علمهﷺ يعلمه المرء من الكتاب والسنة، أم لا بد له من الذوق والتجربة كما جاء على لسان المتصوفة؟

وما الذي منعهﷺ أن يعلمنا بأن هذا العلم لا يكتسب إلا بالذوق والتجربة؟

وما هو الخطر الذي كان يخشاه الرسولﷺ من تبليغه هذا الأمر؟

ونمضي إلى كشف سر الصوفية وهذه المرة مع ابن عربي، وهو يحدثنا بدوره عن الحلاج، وذلك بقوله[2]:

فمن فهم الإشارة فليصنها ... وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبدت له ... شمس الحقيقة بالتداني

وقال أنا هو الحق الذي ... لا يغير ذاته مر الزمان[3]

عجبا كيف يكون قول القائل (أنا هو الحق) شمس الحقيقة؟

بل كيف يكون قول القائل(أنا هو الحق) سرا وإشارة من فهمها يجب أن يصونها؟

---

[1] - "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" (ص: 39).

2- وتنسب- الأبيات - تارة إلى عبد القادر الجيلاني وهي في كتابه فتوح الغيب (ص 330).

[3] - رسائل ابن عربي: ص 4

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

أو ليس قول الحلاج (أنا هو الحق) هو عين قول فرعون اللعين فيما حكاه الله عنه ﴿أنا ربكم الأعلى﴾؟!

والعجب الذي ما بعده عجب هو أن الصوفية فهموا هذه النصوص على ما تقتضيه ألفاظها ويدل عليه مدلولها، ثم تواطأوا على كتمانها، والنصح بعدم كشفها معللين ذلك بأنها ألفاظ وتعابير لا يفهمها إلا خاصتهم، بل خاصة خاصتهم وإن كانت عين ما باح به الحلاج.

وهذا أحمد التجاني وهو الشيخ الأكبر وولي الله عند ياسين[1]، حيث يحدثنا عن نفسه في خشوع فيقول: «لو بحت بما علمه الله لي لأجمع أهل العرفان على قتلي[2]».

نعوذ بالله من الضلال.

ألا يعلم أحمد التجاني الولي أن الإجماع حجة بنفسه؟!

وأن الأمة إن أجمعت على شيء فهي لا تجتمع على ضلالة؟!

وأن علمه بإجماعها على قتله لو باح بما يسره دليل على علمه بفساد سره ومعتقده؟!

إن قول التجاني، الشيخ الأكبر يذكرنا بقول السرهندي السابق نقله من الإحسان2: «لو أظهرت شمة من تلك المعاملة التي هي مربوطة بتلك الولاية قطع البلعوم وذبح الحلقوم...[3]».

وأترك للقارئ حرية المقابلة بين النصين. وبعد انتهائه أنقله إلى قول عبد السلام ياسين:« ولئن قال الحلاج قولته فذلك لضعفه عن الكتمان[4]».

إن قول ياسين إن كان يدل على شيء، فهو يدل على أن الرجل على خبرة كبيرة بعقيدة الصوفية، ونحن اعتددنا في البحث بنقل نصوصه أو نصوص أشياخه من كتبه إن أمكن لكي لا يفتري أحد أننا نرمي الرجل بغير مذهبه وذلك إبعادا للشبهة.

---

[1] - انظر "الإسلام بين الدعوة والدولة": (ص 355).

[2] - " كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب" (ص:373). للعلامة الحاج أحمد بن الحاج العياشي السكيرج.

[3] - (ص: 240).

[4] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص: 352).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

أفصح الحلاج وصرح عما يعتقده لضعفه عن الكتمان، وانتهت القضية _عند ياسين_، وكأن الحلاج لم يقل شيئا يؤاخذ عليه!!

لا أظن أن هناك من يجادل أو يخالف في أن ياسين علم بما باح به الحلاج وإلا لما وصفه بضعفه عن الكتمان.

اغتم ياسين بقضية كتم السر واهتم بها حرصا على الأخذ بنصائح القوم ينقل أقوالهم ويكرسها في ذهن القارئ باستمرار ومن غير ملل.

وهذه المرة مع الغزالي في كتاب - عبد السلام ياسين - الإحسان2 حيث ينقل عنه قوله «المشاهدة تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق(...) وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر[1]».

يعلق ياسين على قول الغزالي بقوله:« أنا مع الغزالي في أن كتب ما يسميه الصوفية "حقائق " فتنة قد تؤدي الناظر فيها إلى الكفر، ومع السيوطي الذي لا يأذن للعامة في قراءتها، ثم لا يأذن[2]».

نعم هو مع الغزالي إلا أن هناك فرقا كبيرا بين قول الغزالي "كفر" وبين قول ياسين "قد تؤدي إلى الكفر"!! وهذه مغالطة منه تضاف إلى مغالطاته الكثيرة.

لنا أن نتساءل لماذا أعرض ياسين عن سابق كلام الغزالي ولاحقه وتجنب نقله إن لم نقل بتره- كعادته -، ربما فضل أن يبقى سرا على مريديه وقراء كتبه. وبالمناسبة لماذا اهتم ياسين بقضية كتم السر، وحض عليها أكثر من مرة مع ذكر أربابها وخاصة في كتابه الإحسان2؟

في الحقيقة أجد نفسي مضطرا لنقل كلام الغزالي حتى نعلم السر الذي يكون إفشاؤه كفرا. وخصوصا أن الغزالي الإمام برع في توضيحه.

تكلم الغزالي عن التوحيد ومراتبه وقسمه إلى أربع مراتب حيث قال: «للتوحيد أربع مراتب:.... والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحدا، وهي مشاهدة الصديقين.

---

[1] - "الإحسان 2": (ص: 262)

[2] - نفس المصدر

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا فلا يرى نفسه أيضا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق[1]».

سبحان الله! الرائي لا يرى نفسه والخلق في حال فنائه؟!

إذن من هو هذا الواحد الذي يراه الرائي في حال استغراقه بالتوحيد؟

مع أنه إذا أخرجنا الخلق والرائي الذي هو من جملة الخلق لم يبق إلا واحد. وهو الخالق فتنبه!

فمن يكون هذا الرائي في حال استغراقه وهو ليس نفسه وليس الخلق؟

لنبق مع الغزالي وهو يتحدث -إتماما للكلام- عن مقامات الموحدين ملحقا كل واحد منهم بمرتبته، حيث يصفه بقوله: «.... الرابع: موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد، هذه هي الغاية القصوى في التوحيد[2]». ثم أخذ في المقارنة والتفضيل بين كل صاحب مقام وآخر إلى أن قال: «وكذا مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه - إلى قوله - توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والكثرة بالإضافة إلى من يشاهد سوى الواحد الحق [3]». هذه الجملة الأخيرة يفاضل فيها الغزالي بين صاحب المقام الثالث والمقام الرابع، صاحب المقام الثالث الذي قال - الغزالي - في مرتبته أنه « يرى أشياء كثيرة (أي المخلوقات) ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار[4]». كما قال عن مقامه:« موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلا واحدا... ولا يرى فاعلا بالحقيقة إلا واحدا [5]». هذا هو المقصود بقوله:«توحيد الفعل مقصد عال للسالكين» لكنه مقام دون المقام الرابع الذي لا يشاهد فيه صاحبه سوى الواحد

---

[1] - "إحياء علوم الدين"(326/4).

[2] - "إحياء علوم الدين"(327/4).

[3] - "إحياء علوم الدين"(327/4).

[4] - "إحياء علوم الدين"(326/4).

[5] - "الإحياء"(327/4) تنبيه: يشير الغزالي بكلامه إلى مقام من مقامات أهل الوحدة، وهو ما يطلق عليه عندهم اسم (الفناء في الأفعال).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الحق ولا يرى في الوجود إلا واحدا. وشتان بين من يرى الكثرة على كثرتها ومن يرى الكثير واحدا.

من هنا يأتي كلام الغزالي محاولا الإجابة عن إشكال يحصل للقارئ في حق صاحب المقام الرابع بقوله: «فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة: فكيف يكون الكثير واحدا؟[1]». هنا يأتي قول الغزالي: « فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر». هذا سابق منقول عبد السلام ياسين فما هو لاحقه وأين هو؟

يسترسل الغزالي مباشرة في بيان حقيقة كيف يرى الكثير واحدا؟ وذلك بضرب الأمثال تقريبا منه للأفهام بقوله:«... وهذا كما أن الإنسان كثير إذا ما التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول أنه إنسان واحد... فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوقات له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار من الاعتبارات واحد. وباعتبارات أخر سواه كثير،.... ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض، ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا.. - إلى قوله - وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص[2] يدور في الأسفار فقال: فماذا أنت؟ فقال أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين. فقال الحسين: قد أفنيت عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع[3]».

هذا بعض ما غض عنه الطرف عبد السلام ياسين من كلام الغزالي. وهو في جملته يحاول إقناع القارئ كيف يكون الكثير واحدا؟ بمعنى آخر كيف يمكن للإنسان أن يتصور هذا العالم، الذي هو عبارة عن أجزاء وأجسام متعددة في أصلها وذواتها متباينة في جنسها هو في حقيقته ذات واحدة.

ماذا يريد منا الغزالي؟

---

[1] - "إحياء علوم الدين": (ص 328/ 4).

[2] - هو إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص.

[3] - "إحياء علوم الدين": (ص 327/ 4).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وخصوصا وهو يتمثل بالحسين بن منصور الحلاج، لا تنس هذا فإنه مهم.

ثم تقريبه لصورة المقام الرابع باستعماله القياس[1] بين وحدة الله ومخلوقاته ووحدة الإنسان وأحشائه.

أولا ومن غير تردد هذا القياس كاسد فاسد باطل في غاية البطلان لقوله تعالى: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون[2]﴾. وقوله سبحانه:﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[3]﴾ وغايته - أي القياس- ألا نرى هذا الوجود بخالقه ومخلوقاته إلا ذاتا واحدة وهي ذات الخالق الذي هو الله، وذلك باضمحلال الكائنات مع وجودها. كما لا نرى هذا الإنسان إلا واحدا من غير التفات إلى أعضائه. بمعنى أن يكون الخالق هو عين المخلوقات بل المخلوقات هي عين ذاته. وهذه هي عقيدة وحدة الوجود.

نعود لنتساءل للمرة الثانية بل الألف لعلها تكون ذكرى للمخلصين وصفعة للمريدين المتعصبين وذلك بقولنا: لماذا أعرض ياسين عن نقل كلام الغزالي وهو جزء لا يتجزأ من قوله« وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب... »؟.

وحتى ندرك حقيقة قول الغزالي الذي هو جواب عن قوله فكيف يكون الكثير واحدا؟ حيث قال:«فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار من الاعتبارات واحد..» نستأنس ببعض نقول أسلافه أو اتباعه زيادة في التوضيح وإثباتا للحجة وكشفا للسر وإفحاما للخصم.

هذا العارف بالله ابن عربي الولي والشيخ الأكبر وذلك كما يحلو لياسين يقول في فص حكمة قلبية في كلمة شعيبية: «وصاحب التحقيق يرى الكثرة في

---

[1] - تنبيه: هذا النوع من القياس لا يجوز في حق الله تعالى لأنه قياس التمثيل، كما لا يجوز في حقه تعالى قياس الشمول. وإنما الجائز في حق الله تعالى قياسا بخلقه هو نوع قياس الأولى، وهو يستعمل في الإثبات والتنزيه، بمعنى أن كل كمال في حق المخلوق – بشرط أن لا يكون هذا الكمال فيه نقص بوجه من الوجوه- فالخالق أولى به منه، وأن كل نقص ينزه عنه المخلوق – بشرط أن لا يكون فيه كمال بوجه من الوجوه- فتنزيه الخالق عنه أولى.انظر الرسالة التدمرية ص 34 ط 5. وكتاب: "منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى" (ج2 ص 469)(تأليف: خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور) مكتبة الغرباء الأثرية الطبعة الأولى.

[2] - (سورة الشورى الآية 11).

[3] - (سورة النحل الآية 74).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

الوحدة، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية. وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين واحدة، فهذه كثرة معقولة، في واحد العين، فيكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة، كما أن الهيولى تؤخذ في حد كل صورة وهي مع كثرة الصور واختلافها ترجع في الحقيقة إلى جوهر واحد. وهيولاها، **فمن عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه فإنه على صورة خلقه، بل هو عين هويته وحقيقته**[1]».

ويقول في نفس الكتاب في فص حكمة فردية في كلمة محمدية: « فإن الإله المطلق لا يسعه شيء، **لأنه عين الأشياء** وهو عين نفسه...[2]». وهو القائل:«وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء، والأشياء محدودة، وإن اختلفت حدودها، فهو محدود بحد كل محدود، فما يوجد شيء إلا هو حد الحق، فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود، **فهو عين الموجودات**...[3]».

تذكر قوله المنقول في المبحث الثاني من الفصل الأول:« العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء [4]».

وكذا قوله:« فمن رأى الحق فيه بعينه فذلك العارف[5]».

ونستمع إلى الحلاج وهو في حالة ضعفه عن الكتمان كما يطيب لياسين أن يصفه حيث يقول:

وأي أرض تخلو منك حتى ... تعالوا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إليك جهرا ... وهم لا يبصرون من العماء [6]

ويقول حسن رضوان:

فليس في الوجود شيء يشهد ... سواه فالأشياء به توحد

والكثرة الموجودة الموهومة ... في ذاته بوحدة معدومة

وكل ذرة من الذرات ... تنبي بأن الكل عين الذات[1]

---

1 - (الفصوص: 124).

2 - (الفصوص: 226).

3 - (الفصوص: 111).

4 - (الفصوص: 192).

5 - (الفصوص: 195).

6 - "أخبار الحلاج" (ص:125).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

إنه يصرح بكل وضوح أن الكثرة التي هي كناية عن المخلوقات وَهْمٌ لا حقيقة لها، وهذا هو نفس المعنى الذي أراده الغزالي حيث تكون النتيجة أنه لا موجود إلا الله.

نبقى مع حسن رضوان حيث يكون أكثر صراحة من غيره وذلك بقوله:

ولا يـزال نـوره يـــزيـــد حتى لديه يكمل التـوحيـد

وسر وحدة الوجود ينكـــشف لعيـــنه، ومنه ذوقا رتشـف

فتضمحل الكثرة المشهـــــودة لـــه بنور الوحدة المقصودة

فـلا يرى بعينه الموحـــــــدة في الكون شيئا غير ذات واحدة[2]

نص واضح جدا.

كما يجب أن تتذكر قول الغزلي: «فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وله وإليه وبه، فهو الكل على التحقيق».

وفي هذا كفاية بل أكثر من الكفاية للوصول إلى أن السر الذي تتوصى الصوفية بكتمه باعتباره عقيدة القوم، هو عين مقالة الحلاج والتي مقتضاها أن نرى الكثير واحدا وذلك بأن يكون المخلوق عين الخالق وأن الخالق هو عين الوجود وأن هذه الكثرة المشهودة بين ظهرانينا إنما هي وَهْمٌ وليس هذا الوجود إلا واحدا وكل ما نراه إنما هو أجزاء منه وهذه العقيدة هي عقيدة وحدة الوجود وهي بالتالي كل ما مر بنا من تعابيرهم التي يغلب عليها طابع الغموض والتعمية، كالأسرار العرفانية وكمال الإيمان للسرهندي، والسر المصون للشعراني، وحقيقةالتوحيد كما جاء في كلام الطوسي، وسر الربوبية كما جاء على لسان الغزالي، ودقائق التوحيد كما عبر ابن عجيبة، والذي لايجوز كشفه ولا إذاعته كما جاء على لسان لسان الدين بن الخطيب، وشمس الحقيقة لابن عربي، والفناء في التوحيد كما نقل عن الحلاج، ومالا يعبر عنه كما عبر عبد سلام ياسين...وهذا كله منهم ستر للمذهب لأن الصوفي الحق هو الذي يبطن وحدة الوجود.

ولله در الإمام الأوزاعي حيث قال: "إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"[1]

---

1 - "روض القلوب المستطـاب" (ص 269) انظر هذه هي الصوفية ص 63 لعبـد الرحمن الوكيل.

2 - نفس المرجع.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وختاما أقول: كثيرا ما يلقب الصوفية بعضهم بعضا بلقب "حامل السر" وهذا كما جاء في قول ياسين«إن السر في إذن الشيخ حامل السر[2]». فمن هو حامل السر؟

مع العلم أن السر هو ما ضعف الحلا ج عن كتمه.

وأترك للقارئ حرية التأمل والتحليل لهذا النظم الذي أورده ياسين في كتابه الإحسان2: وذلك بقوله:« وقال كاتم سره ضنين بأمره وقى الناس من شره.

وأكتم سر السر كتم ضنانة ولولا قصور الخلق كنت أصرح

إلى قوله:

وهذي إشارات تفيـد تنبهـا ويكفيك مني أن أكون أُلـوح[3]

---

[1] - "سيرة عمر بن عبد العزيز" لابن الجوزي. ص54 – دار الفكر.

[2] -" الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص 349).

[3] - "الإحسان": (2: ص 276).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المبحث الرابع

بين ابن عربي وعبد السلام ياسين

كل ما مر بنا في المبحث السابق يساعدنا على فهم أسلوب عبد السلام ياسين في كتاباته، فالرجل نهج بكل صدق وإخلاص أسلوب أسلافه في دعوته إلى التصوف عقيدة. التزاما منه بنصائحهم واتباعا لطريقتهم.

فجاء أسلوبه مترجما لكل ما سبق بيانه من نقول كل من القشيري والطوسي والسهروردي والتي تشير إلى أن المتصوفة استأثروا فيما بينهم باستعمال ألفاظ وألغاز وإشارات دون غيرهم.

وهكذا كانت مؤلفاته- لما يغلب عليها من طابع الغموض باستخدامه مفردات غريبة، ومصطلحات مبهمة، وكلمات غير متداولة - لا تفي بالمطلوب منها لدى القارئ المهتم بكتبه. مما يجعله – أي القارئ - كسالك طريق مظلم شائك، فلا بد له من أن يتوقى ويتحفظ، ويأخذ حذره ويتيقظ، عسى أن يخرج سالما وبغير فهم، وما عساه يفعل أمام ركام من التعابير المقنعة برموز ملثمة. لا توحي إلا بأنها تخفي سرا بل شرا في طياتها.

لقد أبان من خلال أسلوبه في مؤلفاته خاصة الأخيرة منها (الإحسان 1- الإحسان 2) على ما يتمتع به أثناء تسطير فكره من عبقرية واسعة في تمرير معتقده، وتجربة خبير محتال تؤهله لتحقيق مناه، دعوة لمذهبه، وانتصارا لعقيدته، وعصمة لنفسه.

فهو غالبا ما يسير في تصوير فكرته ونسجها وتشكيلها سيرا حتى إذا ظن الظان به أنه يسير نحو أهل السنة، انقلب متسللا بسرعة هادئة في ظلام أسلوبه الدامس إلى أدغال التصوف، صيدا للسذج واحتيالا على الرعاع، من غير إثارة انتباه أو إحداث صداع.

افتتح- عبد السلام ياسين- مبحثه"وحدة الوجود والحلول والاتحاد"بكلام لابن تيمية عن الصنف الثالث من الفناء، وذلك بقوله"الفناء عن وجود السوى، وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص (ابن عربي) وأتباعه الذين

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يقولون، وجود الخالق هو وجود المخلوق وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر، فهؤلاء أعظم كفرا من اليهود والنصارى وعباد الأصنام"[1].

هذا كلام ابن تيمية صدقا وحقا، والمراد منه كما هو واضح لكل ذي عقل؛ تحذير الأمة من قول ابن عربي النتن وفكره العفن، الذي صرح به أكثر من مرة بل ما ألف كتابيه الفتوحات المكية وفصوص الحكم، إلا من أجل تكريس عقيدته وترسيخها في أذهان المسلمين.

وخلاصته كما قال ابن تيمية(الفناء عن وجود السِّوى) والسوى أي الغير والمراد به الخلق، وكذلك(وجود الخالق هو وجود المخلوق) وأنه (ما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر)، ولا فرق بين هذه التعريفات حيث كلها تدل على مدلول واحد وهو: أن الله من حيث الوجود هو عين الموجودات- تعالى الله عما يقول أهل الزندقة علوا كبيرا- وأن العبد لا يستشعر هذه الحقيقة إلا في حال فنائه عن الخلق.

كما أن المراد منه- أي كلام ابن تيمية - كذلك هو بيان أن قول ابن عربي وبطانته وأنصاره وأتباعه وأسلافه وأشياخه هو كفر أعظم من كفر النصارى واليهود وعباد الأصنام. وذلك باعتبار ما يقتضيه قول هذه الطوائف الثلاث، من أن الله تجلى لهم في بعض أعيان خلقه دون غيرهم كقول النصارى في عيسى، في مقابل ما يقتضيه قول الفاجر ابن عربي أن الله عين خلقه.وذلك كما في قوله:

رأيت الحق في الأعيان حقا وفي الأسما فلم أره سوائي

ولست بحاكم في ذاك وحدي فهذا حكمه في كل رائي [2]

وكذا قوله -أي ابن عربي-: «...(ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وما خص إنسان من إنسان، فالقرب الإلهي من العبد لاخفاء به في الإخبار الإلهي، فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو حق مشهود في خلق متوهم، فالخلق معقول والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود، وما عدا هذين فالحق عندهم معقول والخلق مشهود[3]».

---

[1] - "الإحسان": (2 ص 269).

[2] - "الفتوحات المكية" (3 ص 549).

[3] - "فصوص الحكم" (ص: 108).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وكل ما سبق ذكره فهو مفهوم من كلام ابن تيمية ومن غير تكلف، إلا أن ياسين أبى ببركة تصوفه إلا أن ينحو في تعليقاته غير المنحى المتوقع. فانطلق كالمعتاد بتسليط الأضواء البارقة على ابن عربي وتلميع شخصه ونشر الألقاب الضخمة عليه(عَلَمٌ، شيخ، الشيخ الأكبر) وذلك في بداية تعليقه حيث قال: «هنا نجد وجها لوجه علمين من أعلام الملة: ابن تيمية وابن عربي.....الشيخ ابن عربي عند العارفين هو الشيخ الأكبر وكفى[1]».

تنبيه:

أولا: ذكره لابن تيمية مقرونا مع ابن عربي وجعله في خانة أعلام الملة، هو من باب إرضاء أهل الشريعة؛ لأنه لا يستقيم في ذهن عاقل أن يكون عند عبد السلام ياسين ابن تيمية -الذي لم يتتلمذ على أستاذ تربية-، وابن عربي -الشيخ الأكبر في التربية- سيان.

ثانيا: قوله: (ابن عربي عند العارفين هو الشيخ الأكبر) يسهل علينا معرفة أن ياسين من أهل العرفان، فهو أحد أولئك العارفين لما يتردد على لسانه وصف ابن عربي بالشيخ الأكبر.

بعد هذه الخطوة استرسل "**ياسين**" ومن غير مقدمات مدافعا عن ابن عربي -شيخ أهل الوحدة والزندقة- من غير أن يترك فرصة تفكير أو مهلة للنظر والتدبر مقدما براءة الشيخ الأكبر؛ قصد إلجام الخصم وإنهاء القضية ببراءة المدعى عليه، ومن غير أن يغفل لفت نظر القارئ بواسطة لمزاته إلى ظلم المدعي ابن تيمية. وذلك بقوله «وما في كتبه (أي ابن عربي) من كلام كفري يعزوه بعضهم إلى السكر فيعذره، وبعضهم ينسب تلك الكلمات، بل تلك الفلسفة المبنية إلى دس الباطنية، وابن تيمية لا يعذر ولا يقبل كلاما[2]».

وقبل أن نمضي قدما لنرى ما سيؤول إليه كلام هذا الرجل وما سيظهر منه من عجائب الدهر وغرائب العصر، نتساءل في استغراب وشوق عن مدى صدق الأدلة التي أدلى بها ياسين على براءة شيخه وعدم مؤاخذته. ولك أن تعجب كيف يؤلف ابن عربي كتبا، منها ما يتكون من مجلدات كالفتوحات المكية وهو في حالة سكر؟!!

---

[1] -" الإحسان" (2 ص 269).

[2] -" الإحسان 2 " (ص: 269).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وهي تتضمن نثرا راقيا تتخلله جماليات اللغة العربية من أدب وإنشاء وبيان ومعان وبلاغة، كما تتضمن نظما وفق قواعد الشعر العربي وهو في حالة سكر؟!!

ثم لماذا لم يخبرنا ياسين عن كم دام سكر الشيخ الأكبر؟ وكم هي مدته؟ ومتى كانت بدايته؟ ومتى انتهى منه؟ وهل في بداية مؤلفه؟ أم في وسطه؟ أم في كل أجزائه؟ ثم هل في مؤلف واحد؟ أم في كل مؤلفاته؟! بل ما الذي منع صاحب هذا الكلام الكفري من حذف كلامه وذلك بعد تجاوزه مرحلة السكر؟ أم أن سكره كان مستداما ؟

إنه لم يجب عن هذه الأسئلة، وكأني به شعر بقبح اعتذاره وضآلة دفاعه، فأبى إلا أن يقاطع تفكيرنا عن تسلسله في استحضاره هذه الأسئلة التي تفرض نفسها بطبيعتها بلا جهد أو تعب. وربما فطن إلى أن مثل هذا العذر لا يقبله إلا سكران. أقصد السكر المعروف عند أهل الشريعة والذي مادته من عصير العنب أو غيره، لا سكر أهل الحقيقة الذي هو حالة تحصل للعارف عند فنائه عن وجوده؛ عجبا! حتى نوع سكرهم ليس كنوع سكرنا.

فعمد إلى عذر آخر وهو يخبط خبط عشواء، لعله يكون أبلغ في الإقناع، وهو(دس الباطنية)، وكما يقال "عذر أقبح من ذنب"، إلا أنه الأكثر رواجا في أوساط المتصوفة، فتدبره وتأمله وراجعه مع نفسك، فإنه دعوى عريضة، ومغالطة مكشوفة، وخدعة مفضوحة:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات فأبناؤها أدعياء.

نعم إنها دعوى. ما دام لم يبين لنا عبد السلام ياسين مكان هذه المدسوسات. وما الذي منع الصوفية من حذف هذا المدسوس من كتب ابن عربي؟ وهي تطبع منذ قرون إلى يومنا هذا ولا يشرف على طبعها ولا يقتنيها إلا هم.

بل ما الذي يمنع ياسين من القيام بهذا العمل ؟

ثم أليس كتاب فصوص الحكم اعتنى به المتصوفة أيما اعتناء، شرحا وبيانا، فسروا ألفاظه وأوضحوا رموزه. وما ثبت عن شراحه- وهم كثر- ادعاء أن ما فيه مدسوس على صاحبه، ومن هؤلاء: القاشاني والجامي وبالي أفندي...فهل ياسين أعلم بالكتاب من شراحه؟

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

إن القضية ليست قضية "فصوص الحكم" أو "الفتوحات المكية"، ولو كان الأمر يقف عند هذا الحد لكان هينا، وإنما القضية هي قضية جل كتب المتصوفة.

كما سبق في قول الجنيد:« الصوفية أهل بيت واحد[1]».

وقول عبد القادر عيسى: « إن الطريق واحدة... ولهذا تعددت الطرق الصوفية وهي في ذاتها وحقيقتها واحدة[2]».

بل أنت القائل - أي ياسين-: «ويعذر من لم يجد شيخا يربيه ويأذن له إن لم يعلم أن القوم رضي الله عنهم يستقون من معين واحد ولو اختلفت المشارب..[3]».

إنها في حقيقة أمرها ليست قضية ابن عربي أو الحلاج أو ابن سبعين أو السهروردي أو ابن الفارض... إنما هي قضية عقدية مذهبية.

يقول الجيلي في كتابه "الإنسان الكامل":

فمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع انسه وسجاياه

ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر أو شاهق طال أعلاه

ومهما ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب محياه

إلى أن قال:

فإني ذاك الكل والكل مشهدي أنا المتجلي في حقيقته لا هو

وإني رب للأنام وسيد جميع الورى اسم، وذاتي مسماه[4]

فمن دس هذا الكفر الفرعوني على الجيلي يا ياسين؟

أليس هذا عين قول الحلاج القائل "أنا الحق" وقول ابن عربي السابق نقله "فلم أره سوائي". أم كان هو كذلك في حالة سكر أو حالة ضعف عن الكتمان؟

---

[1] - "الرسالة القشيرية" (ص: 218).

[2] - "حقائق عن التصوف" (ص 272).

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص 381 – 382)

[4] - "الإنسان الكامل"(ص31)؛ دار الرشاد الحديثة (المغرب).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وهذا الغزالي الحجة يقول:

وهل أنا إلا أنت ذاتا واحدة وهل أنت إلا نفس عين هويتي [1]

أما ابن عجيبة المغربي صاحب كتاب (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية) وكتاب (إيقاظ الهمم في شرح الحكم) نعم حكم ابن عطاء الله السكندري الإمام، الشيخ المربي، الحكيم، حسب تلقيبك له في الإحسان 2[2].

يقول – ابن عجيبة- « إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه[3]».

وهذا الشيخ الشاذلي الذي قل ما يخلو كتاب من كتبك من الترضي عنه يقول: «ليكن الفرق في لسانك موجودا، والجمع في جنانك مشهودا[4]».

هنا نقف لأننا نحن الآن أمام رمزين من رموزهم وإشارتين من إشاراتهم، فهي مناسبة ذهبية لنعلم مراد الصوفية من تعبيرهم (الفرق والجمع) كما جاء على لسان الشاذلي، يقول ياسين: «كان كلام مشايخ الصوفية في **الفناء والبقاء والجمع والفرق** قبل الغزالي إنما هو إشارات بلغة مرموزة أو عبارات تصدر عند غلبة في الحال[5]».

نعم تأمل قول كل من الشاذلي وابن عجيبة وسيظهر لك المعنى بمجرد المقارنة لتشابه القولين فيما بينهما. إلا أن ابن عجيبة يخاطب بلسان الناهي والشاذلي يخاطب بلسان الآمر.

فقول ابن عجيبة (إياك أن تقول أناه) معناه احذر أن تبوح للناس أو يصدر على لسانك قول أنا الله. ولا يكون هذا إلا بإظهار المخاطب مقام العبودية على ظاهره، والذي هو الفرق في كلام الشاذلي وذلك بقوله: (ليكن الفرق (أي مظهر العبودية) في لسانك موجودا).

كما أن قوله- أي ابن عجيبة- (احذر أن تكون سواه) معناه احذر أن تعتقد أنك سوى الله في حال ظهورك بأنك غيره. ولا يكون هذا إلا باستشعار

---

1 - "معارج القدس" (ص 195).

2 - (ص: 191).

3 - " الفتوحات الالهية"(ص: 347).

4 - "بداية الطريق إلى مناهج التحقيق" (ص 65)، انظر "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" (ص389).

5 - "الإحسان 2"(ص261).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

المخاطب مقام الربوبية. وهو المراد بالجمع عند الشاذلي بقوله (والجمع "أي استشعار الربوبية" في جنانك مشهودا).

ومما يزيد هذا الكلام وضوحا على وضوحه قول علي نور الدين اليشرطي المغربي: «اجعل ظاهرك عبودية، وباطنك أحدية وميز ومهد[1]».

أظن أن قول علي نور الدين (ميز ومهد) واضح، إنه عين قول ابن عجيبة(إياك واحذر)، كما أن قوله(ظاهرك وباطنك) هو عين قول الشاذلي (لسانك وجنانك).

ويقول أبو سعيد الخراز [2]:« معنى الجمع: أنه أوجدهم نفسه في أنفسهم، بل أعدمهم وجودهم لأنفسهم عند وجودهم له[3]».

فقوله: «أوجدهم نفسه في أنفسهم»واضح المعنى، والذي يزيده بيانا هو قوله«أعدمهم وجودهم لأنفسهم (بمعنى لم يبق لهم وجود لعدم شعورهم بوجودهم) عند وجودهم له». فحالهم الذي هو حال الجمع، هو شعور العبد في حال فنائه بوجود الرب دون شعوره بوجود نفسه والخلق الذي هو الفرق. يقول عبد القادر الجيلاني: «الفناء إعدام الخلائق...[4]».أي هو عدم شعور العبد بالخلق في حال فنائه (أعدمهم وجودهم لأنفسهم).

وخلاصة القول أن" الفرق" في تعريف الصوفية، هو حال شعور العبد بالفرق بين الخالق والمخلوق، وهذا يكون قبل بلوغه مقام الفناء الذي هو مقام الجمع. أما "الجمع"، فهو شعور العبد بصفات الرب بل تحققه بها في حال اضمحلال

---

[1] - "نفحات الحق"؛ لفاطمة اليشرقية: (ص 29) الطبعة الأولى.

[2] - **تنبيه:** نقل عبد السلام ياسين في كتابه الإحسان 2 (ص 261) قول أبي سعيد الخراز هذا في تفسير قوله تعالى ﴿كل من عليها فان ﴾ حيث قال: «أخلاهم في أفعالهم من أفعالهم، وهو أول حال الفناء ». نرجو من القارئ أن يقابل هذا التفسير مع أي تفسير شاء من تفاسير أهل الشريعة ابتداء من ابن جرير الطبري، ابن كثير، القرطبي، الشوكاني، الصديق حسن خان، الأمين الشنقيطي، عبد الرحمن السعدي....ليعلم - القارئ - المفاصلة التامة بين مذهب التصوف ومذهب أهل السنة. وعلى سبيل المثال يقول ابن كثير عند تفسيره لنفس الآية " يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا ما شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبدا" 3 /288 - فكلمة (فان) عند أهل الشريعة تعني الموت، أما عند الصوفية فهي تشير إلى مقام من مقاماتهم. غريب حتى تفسيرهم يباين تفسير أهل الشريعة !!

[3] - "التعرف لمذهب التصوف"؛ لأبي بكر محمد الكلابادي: (ص 121) طبعة دار الكتب العلمية.

[4] - "فتوح الغيب" (ص 170).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

نفسه وفنائه عن وجوده وهذا هو الفناء، بمعنى آخر الجمع هو شعور العبد في حال فنائه عن وجوده باتحاد الخلق والخالق في ذات واحدة.

يقول أبو الفيض المنوفى الحسيني: «وإذا فنى العبد عن الأغيار كملت معرفته لبقائه مع الحق...، وإذا وصل من المعرفة إلى هذا الحد من التمكن شارف عين الجمع أي الحقيقة، وصار الجمع له حالا..[1]».

هذا النص لا يحتاج إلى تعليق بل هو بيان لما قبله وتوطئة لما بعده قصد معرفة حقائق رموزهم وذلك لرفع الغموض والحيرة اللذين يعتريان القارئ عند قراءته كتب المتصوفة عامة. لما حوت من إشارات هي أشبه بالطلاسم، قصد صرف القارئ عن حقائقها وسترا لما تدل عليه من معتقد فاسد. حتى أضحى غموضها علما وحجة على ولايتهم عند مريديهم، حيث يسلمون لهم في كل ما لا يفهمونه من أقوالهم، ظنا منهم أن كلام أكابر الأولياء لا يفهمه إلا خاصتهم. بل خاصة خاصتهم.

قلت:كل ما سبق توطئة لأزف لك قول الجنيد، لكن هذه المرة من كتاب الإحسان2.حيث ينقل ياسين قوله - أي الجنيد-: «قربه بالوجد الجمع، وغيبته في البشرية تفرقة[2]» نعم هذا هو الجنيد إمام القوم، وتقدير قوله هو: (قرب الله بوجد العبد جمع) ووجد العبد هو فناؤه عن الخلق (وغيبة الله بإظهار عبوديتك أو بشريتك تفرقة) والتفرقة هي الفرق.

فقول الجنيد هو عين قول ابن عجيبة والشاذلي وعلي نور الدين اليشرطي وأبي سعيد الخراز.

وحاول أن تمتحن مدى تمرسك على هذه المصطلحات وذلك بمقارنتك هذه النقول بعضها ببعض. والحر تكفيه الإشارة.

أضف إليك قول أبي مدين الغوث المغربي:«الجمع ما أسقط تفرقتك، ومحا إشاراتك...[3]» أسقط تفرقتك أي أعدمك وجودك لنفسك بفنائك عن الأغيار. في هذا الحال تكون قد عاينت الجمع، أو كما عبر أبو الفيض شارفت عين الجمع. بمعنى أن في حال الجمع لا تستطيع أن تميز بين كونك عبدا أو كونك ربا. وهذا المقام الذي هو مقام الجمع أو الفناء هو الذي يطلق عليه جهابذة

---

[1] - "معالم الطريق إلى الله" (ص: 260) طبعة دار نهضة مصر.

[2] - "الإحسان 2 "(ص 161).

[3] - "أبو مدين الغوث" (ص 60)لعبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية - بيروت.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وحدة الوجود مقام (نفي التمييز) أو (نفي الإثنينية) بمعنى أن الصوفية يعتقدون أنه في حال الجمع وفناء العبد ليس ثم عبد ورب وليس هناك اثنان إنما هو هو[1]. أي أن العبد هو الله، والله هو العبد. يقول ابن عربي:

فقال بيني وبين عبدي فمن رآه فقد رآني

فلست غيرا له ولا هو لوحدتي في الوجود ثاني

ويذكر ياسين قول السرهندي: « الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد، فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد[2]».اقرأ وميز ومهد. بل يضيف إلينا نقلا آخر عن نفس الإمام: «فالشخص الذي يتكلم بالشطحات يكون في مقام الصلح مع الكل، ويظن الجميع على صراط مستقيم، ولا يثبت التمييز بين الحق والخلق، ولا يقول بوجود الاثنينية إذا وصل الشخص إلى مقام الجمع، وتحقق بكفر الطريقة، ونسي السوى فهو مقبول. وكلماته ناشئة من السكر ومصروفة عن الظاهر[3]».

تأمل قوله: «لا يثبت التمييز بين الحق والخلق ولا يقول بوجود الإثنينية».

وكذا قوله: «ونسي السوى» فهو الفناء عن السوى، وهذا قول ابن عربي الذي نبه عليه ابن تيمية رحمه الله وحذر منه.

نعم حاول السرهندي أن يكون أكثر وضوحا من غيره، مع أنه لجأ في البداية إلى كلمة الجمع واستبدلها بكلمة الصلح ولا فرق. مسكين السرهندي يريد من أهل الشريعة أن يؤولوا ما هو كفر صراح حتى لا يقولوا أن هذا كفر وأن قائله كافر يؤولون من غير ضوابط ولا قرائن!! لماذا ؟! ألا يجري على المتصوفة ما يجري على غيرهم من البشر من إمكان الوقوع في الكفر والردة والنفاق ؟

قل لي بربك كيف نؤول قول الششتري:

لقد أنا شيء عجيب لمن رآني أنا المحب والحبيب ليس ثم ثاني

---

[1] - **هو هو**: ذكر معتمد عند الطريقة البودشيشية ، والمراد منه عند الصوفية عامة هو أن كل ما يشير إليه الذاكر بقوله "هو" فهو "الله"- تعالى الله عما يقول الزنادقة علوا كبيرا- يقول الغزالي الحجة: **(كما أنه لا إله إلا هو ، فلا هو إلا هو ، فإن هو عبارة عما إليه الإشارة ، وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه بل كلما أشرت فهو بالحقيقة الإشارة إليه)** مشكاة الأنوار (ص 14).

[2] - "عوارف المعارف" (ج 4 ص 383) نقلا عن "الإحسان 2" (ص 262).

[3] - "المكتوبات" (ج 2 ص 145) نقلا عن "الإحسان 2" (ص 362).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يا قاصدا عين الخبر غطاه أينك الخُبر فيك والخبر والسر عندك

ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك [1]

لماذا لم يقع إلا المتصوفة في هذا الكفر؟

و لماذا لم يقع علماء الشريعة في مثله؟

وهل يكون من العلم والإنصاف كلما وقع صوفي في مثل هذا الكفر قلنا عنه إنما هو في حالة سكر أو هو مدسوس أو أن صاحبه ضعف عن الكتمان أو أن كلامه مصروف عن ظاهره؟

وكيف يصير الحال لو فتحنا هذا الباب من غير ضوابط صحيحة في وجه كل من صدر منه قول ظاهره كفر وردة؟

إنه بلا شك لن يبق على وجه الأرض كافر أو مرتد، وبالتالي تتعطل كل أحكام الردة التي جاءت بها الشريعة وسطرها علماء الملة.

خاصة وأن قول القائل (أنا الحق) أو ما شابهه من كلام المتصوفة الذي حقيقته الكفر؛ هو كلام ينافي التوحيد ويضاد الإيمان، وينافض الإسلام، والمتكلم به لا يجوز أن يسمى مسلما بحال من الأحوال، لأن الوقوع في الناقض نقض للإيمان من أصله ولو كان مع صاحبه ما كان من الأعمال الصالحة. وقوة الامتثال في الظاهر لا تحفظ للمرء إسلاما إلا باجتناب النواقض والأعمال المكفرة بذاتها؛ كسب الله، وسب رسوله، وتكذيب النبي، والسجود للصنم... والشرك بالله.

نعم الشرك بالله حيث يجعل العبد مع الله ندا في خلقه. فكيف بمن يدعي أنه هو الله وأنه عين ذاته - تعالى الله عما يقول أشياخ عبد السلام ياسين علوا كبيرا-.

فلا يلجأ إلى تأويل الكلام وصرفه عن ظاهره لجواز الوقوع في الكفر والإلحاد والردة، والقاعدة " كل يؤخذ من قوله ويرد، وكل بحسب قوله" خاصة تلك الأقوال التي لا مسوغ لها لا من الشرع ولا من اللغة ولا من العقل. ولا يشهد لها العلم بوجه من الوجوه كأقوال أهل الوحدة.

---

[1] - إيقاظ الهمم (ص 42)، لابن عجيبة.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يقول الإمام البقاعي ردا على من تأول لابن الفارض «مع أن الفاروق ابن الخطاب رضي الله عنه الذي ما سلك فجا إلا سلك الشيطان غير فجه. قد أنكر التأويل (لغير كلام المعصوم)[1]، ومنع منه رضي الله عنه، وأهلك كل من خالفه وأرداه، وبسيف الشرع قتله وأخزاه، فيما رواه عنه البخاري في كتاب الشهادات من صحيحه:« إن ناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله (صلى الله عليه مسلم)، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة[2]».

هذا المنهج العمري هو الطابع العام الذي جرى عليه علماء السنة وأئمة الملة حفظا للدين من تلاعب أهل البدع والمنحرفين، خلافا لما اصطفاه ياسين كمنهج للتعامل مع أشياخه وأسياده قصد عذرهم حيث نقل كلام الشيخ العارف الهمام السرهندي: «وكل من تكلم من المشايخ قدس الله أسرارهم بالشطحات من الكلمات المخالفة لظاهر الشريعة. فإنما تكلم عن مقام كفر الطريقة الذي هو موطن السكر وعدم التمييز[3]».

فكفر الطريقة وموطن السكر وعدم التمييز بين الحق والخلق كلها أسماء لمسمى واحد الذي هو الفناء أو الجمع أو مقام نفي الإثنينية كما جاء على لسانه. حيث تصدر عنهم عند بلوغهم لهذا المقام تلك الشطحات من الكلمات المخالفة لظاهر الشريعة؛ أي الكلمات المخالفة في مدلولها لمقصود الشريعة؛ من توحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته، وهذا لا يكون إلا بما تدل عليه تلك الكلمات من كفر وإلحاد، وهذا عين قوله السابق:«إن تحقق الإنسان بتلك الأسرار العرفانية هو كمال الإيمان والتعبير عنها بعبارة كيفية عين الكفر

---

[1] - كلامه في تأويل كلام المعصوم غير صحيح (لأن الأصل في الكلام هو حمله على ظاهره والمراد بالظاهر هو ما دل عليه الكلام إما مجردا أو مقرونا. انظر مبحث حديث الولاية بين فقه المحدثين وانحراف المتصوفين. وانظر كتاب أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب (للشيخ ربيع) خاصة فصل قول سيد قطب بعقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد.

[2] - "تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد"؛ لبرهان الدين البقاعي، وانظر "مصرع التصوف".(لنفس المؤلف) (ص 224).

[3] - المكتوبات 2ج145 نقلا عن "الإحسان 2"(ص362).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

والإلحاد ينبغي أن يستعمل السالك هذه الحكمة شعارا له (من عرف الله كل لسانه[1])».

وما يجب ملاحظته بشكل مميز- خاصة وأن النصين لشيخ واحد- أن قوله (الشطحات من الكلمات المخالفة للشريعة) هو عين قوله (والتعبير عنها -أي الأسرار- بعبارة كيفية عين الكفر والإلحاد). فنفهم أن هذه الشطحات هي كفر وإلحاد باعتبار أهل الشريعة؛ أهل الظاهر كما يعبر القوم، أما هي باعتبار أصلها فهي عرفان وكمال إيمان عند أهل الحقيقة لأنها صادرة عن أصحابها في حال ارتقاء مقامهم وتغير حالهم عند فنائهم وجمعهم وسقوط تفرقتهم، يقول الغزالي:« العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذوقا وحالا، **وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة**، واستهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا. فلم يبق عندهم إلا الله، فسكروا سكرا، وقع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني. وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله....وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها بلسان المجاز: اتحادا، وبلسان الحقيقة توحيدا..[2] ».

هنا تتضح عبارة السرهندي وذلك بفضل بيان الغزالي الواضح. إذ يظهر أن كلا من قول طيفور البسطامي (أنا الحق) وقول أبي يزيد البسطامي (سبحاني ما أعظم شأني) وقول الحلاج (ما في الجبة إلا الله)، هو تلك الشطحات من الكلمات المخالفة لظاهر الشريعة، حيث النطق والبواح بها حكمه بلسان المجاز، أي الظاهر والمراد لسان أهل الشريعة: اتحاد حسب تعبير الغزالي وكفر وإلحاد حسب تعبير السرهندي، وهو -أي الحكم- بلسان الحقيقة أي علم الباطن والمراد لسان الصوفية توحيد كما عبر الغزالي، وكمال إيمان حسب اصطلاح السرهندي، وجامع قوليهما -الغزالي والسرهندي- أن التوحيد في استعمال الصوفية المراد منه عقيدة وحدة الوجود، وهو يعادل الكفر والإلحاد

---

[1] - "الإحسان 2" (ص 282).

[2] - "مشكاة الأنوار" (ص 12- 13).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

عند أهل الشريعة.[1] تذكر قول ابن الفارض: «إنما قتل الحلاج لأنه باح بسره إذ شرط هذا التوحيد الكتم».

أما تمام قوله -السرهندي- «ينبغي أن يستعمل السالك هذه الحكمة شعارا له (من عرف الله كل لسانه)» فهو قاعدة منهجية ترسم للسالك سيره وفق حدود وحدة عقيدة مذهبهم فقوله« من عرف الله كل لسانه» أي من عرف الله وفق ما يقتضيه تحققه بتلك الأسرار العرفانية عند بلوغه كمال الإيمان كحال الحلاج "كل لسانه" وذلك بالإمساك عن قول "أنا الحق " لما يلزم التعبير به من الحكم على المتحقق به بالكفر والإلحاد كما فعل بالحلاج.

فقول السرهندي"من عرف الله كل لسانه" هو نفس قول ابن عجيبة " إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه ". وقول الشاذلي " ليكن الفرق في لسانك موجودا، والجمع في جنانك مشهودا " "وقول البشرطي " اجعل ظاهرك عبودية، وباطنك أحدية." إلى غيرها من النقول التي سبق نقلها، فضلا عن الكثير منها التي لم تنقل أصلا وهي تعد بالمجلدات.

والذي يساعدنا أكثر على فهم هذه العبارة، بل الحكمة هو قول ابن عطاء الله السنكدري «من عرف الحق (أي الله كما عند السرهندي) شهده في كل شيء، ومن فنى به غاب عن كل شيء[2]». وكذا قول الغزالي: «فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه وله وبه وإليه فهو الكل على التحقيق[3]»؛ فالمعرفة في اصطلاح الصوفية هي معرفة ألا شيء في الوجود إلا الله، والعارف هو من بلغ مرتبة أحدية الوجود.

وهل هذا الذي نقله عبد السلام ياسين عن إمامه السرهندي والذي قاله حجته الغزالي، وحكيمه ابن عطاء الله إلا عين قول شيخه الأكبر ابن عربي « العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء[4]»و قوله: «فمن رأى الحق فيه بعينه فذلك العارف[5]»[6].

---

[1] - يقول الغزالي: « **لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص..**» انظر: "مشكاة الأنوار": (ص 14).

[2] - "إيقاظ الهمم في شرح الحكم" (ص 235).

[3] - "الإحياء" (1 / 396).

[4] - "فصوص الحكم" (ص 192).

[5] - "فصوص الحكم" (ص 195).

[6] - راجع مبحث مناقشة مفهوم العارف عند الصوفية.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

هنا يأتي الجواب مباشرة عن السؤال الذي أثرناه في المبحث السابق من خلال نص السرهندي والذي هو- السؤال-: أين تكمن الحكمة في عدم تعبير العبد وعدم إفصاحه عما عرفه الله به من إيمان وعرفان؟!

فيكون الجواب: هو أن قول السرهندي (من عرف الله) أي من عرف أن الله عين الأشياء كل لسانه، وإلا فسيف الشريعة فوق رأسه.

لعل القارئ يكشف له الآن سر قول السرهندي: « لو أظهرت شمة من تلك المعاملة التي هي مربوطة بتلك الولاية قطع البلعوم وذبح الحلقوم[1]».

فهذه هي عقيدتهم التي يدينون بها. ويدندنون حولها دائما إما تصريحا أو تلويحا. كما يجهدون أنفسهم على إخفائها داخل طيات رموزهم، فلا يغرنك - أيها القارئ- تفاوت أقوالهم واختلافها في شكلها وتركيب مفرداتها، وإنما هي براعة بعضهم في إتقان أسلوب المغالطة، ومهارة بعضهم الآخر في ستر عقيدة المذهب، وذلك حتى يحفظ البلعوم كما حفظ بلعوم السرهندي، ولا يقطع الحلقوم كما قطع حلقوم الحلاج، وشهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي، ولسان الدين بن الخطيب.....مساكين ضعفوا عن الكتمان، ولم يجدوا من يعذرهم، ولا من يؤول لهم كلامهم.

والعجيب الغريب أن ياسين لم يخجل من أن يشهر أمره وينصب نفسه داعية لهذه الطائفة من أهل الضلال والانحراف والإلحاد، يستشهد بأقوالهم ويتمثل بأفعالهم وأحوالهم ويترضى عن أعيانهم. وفعله هذا دليل كاف على ضلاله وانحرافه وحماقته ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾[2] و«المرء مع من أحب[3]» و«من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام[4]».وياسين لم يقف عند حد تعظيم أهل البدع والإخبار عنهم والاحتجاج بهم، وإنما سار سيرهم ونهج نهجهم ودعا بدعوتهم، تأصيلا لمذهبه وإخبارا عن نفسه.

يقول في كتابه الإسلام بين الدعوة والدولة: « إن رجال الله أهل الله أهل الطريق يتحدثون عن الفناء والبقاء إذ أن العبد لا يعرف الله بنفسه، وإنما

---

1 - الإحسان 2 (ص 240).

2 - (سورة الرعد الآية 33).

3 - متفق عليه.

4 - قول الفضيل بن عياض؛ انظر كتاب: "شرح السنة" ؛للبربهاري: (ص 139).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

تتأتى له المعرفة إن فنى عن وجوده يقولون: إن وجود الحادث الممكن حجاب عن الله، فإذا فنى العبد عن وجوده الحادث كان الله ولا شيء معه[1]».

هذا النص نقلناه في مبحث سابق، ولا بأس من إعادته للنظر فيه فهذا مقامه. اقرأه جيدا وتأمله، وحاول أن تحلل ألفاظه فإنه عين ما سبق، وبيسير من التدبر والتفكر تصل إلى المراد منه فهماً والمطلوب معنى فهو يخبرنا في مستهل كلامه عن رجال الله الصوفية وهم يتكلمون عن مقامي الفناء والبقاء. أما الأول: فهو مقام الجمع ومقام السكر حيث لا تمييز ولا اثنينية.

أما الثاني: البقاء فهو يحتاج إلى بيان إذ لم تسبق الإشارة إليه في هذا البحث. ولا ضير من أن نضيفه إلى خلايا دماغنا. بل إضافته من مكملات هذا المبحث لأنه لا فناء عند الصوفية إلا وله بقاء.

و هو – أي مقام البقاء – مقام أعلى من مقام الجمع، فهو يعني عند القوم حصول التمييز بين الحق والخلق بعد مقام الفناء الذي هو مقام عدم التمييز. يقول السرهندي نقلا عن الإحسان 2 «وإسلام الطريقة عبارة عن مقام الفرق بعد الجمع (قلت (القائل ياسين): وهو مقام البقاء) الذي هو مقام التمييز. الحق والخير متميزان هنا من الباطل والشر[2]». تذكر قول السرهندي السابق (كفر الطريقة الذي هو وصول الشخص إلى مقام الجمع) وتأمل قوله:(إسلام الطريقة الذي هو مقام الفرق بعد الجمع) وباختصار فكفر الطريقة هو الفناء وإسلام الطريقة هو البقاء. بل ينقل - ياسين- في ص 267 من الإحسان 2 عن عبد القادر الجيلاني قوله،« الغيبة والفناء عند وجود القلب والسر عند الحق عز وجل، فهي حالة المشاهدة والمحادثة. يفنى باطنه يفنى وجوده ويمحى بالإضافة (أي بالنسبة) إلى الخلق، ويوجد عند الحق عز وجل، يمحى ويذوب هنالك ذوبان، ثم إذا شاء أنشره» ثم يعلق ياسين بعد هذا النقل بقوله:« البقاء هو الإنشاء الثاني» قلت أي هو المقصود بقول: " أنشره". فلربما يستدرك أحد القراء، حيث يشكل عليه قولي: إن مقام البقاء هو أعلى من مقام الجمع، مع قولي أنه رجوع إلى مقام التمييز. مما يقتضي – أي قولي هذا – أن الفاني يرجع إلى أصل حاله الذي هو حال التفريق والتمييز بين الحق والخلق وبالتالي فلا يكون علوا مع رجوعه إلى أصل حاله.

---

[1] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص 393 – 394).

[2] - (ص 362).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

نعم استدراكك في محله: حيث لم أطلعك على أن مقام البقاء هو تمييز لكن لا كالتمييز الأول. إنما هو تمييز في مقام الجمع يقول أحمد الصاوي المالكي الخلوتي: (أما المقام الثاني وهو " البقاء" فهو الرجوع بعد الفناء إلى ثبوت الآثار، بشهود ذات وصفات المؤثر فيها، ويقال لصاحبه " غريق في عين الوحدة" فمشاهد الأحدية مشاهد للذات دون الصفات وآثارها، وهو الفاني. ومشاهد الوحدة مشاهد للذات متصفة بالأسماء والصفات مثبتا للآثار، جامعا بين الحق والخلق، وهذا هو الكمال بعينه، فلذلك قالوا: لا بد لكل فناء من بقاء، ومقام البقاء هذا هو المسمى(الجمع والفرق)، فجمعه شهوده لربه، وفرقه شهوده لصنعه[1]».

انتبه أليس قوله « فجمعه شهوده لربه، وفرقه شهوده لصنعه» هو نفس قول الجنيد المنقول عن ياسين: « قربه بالوجد جمع، وغيبته في البشرية تفرقة» ثم هو نفس قول ابن اعجيبة« إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه» وقول الشاذلي «ليكن الفرق في لسانك موجودا، والجمع في جنانك مشهودا» وقول علي نور الدين اليشرطي « اجعل ظاهرك عبودية، وباطنك أحدية...». ومعنى هذا أن هذه النقول كلها تدل في نفسها وتشير إلى مدلول واحد وهو مقام البقاء. وهذا سعيد حوى يقول مبينا لمقام البقاء بعد تفصيله في أنواع الفناءات إذ يقول:« والفناء في الذات، وهو أن يستشعر الإنسان أولية الذات الإلهية وصمدانيتها. ومتى استقر في هذا المقام أحس بمقام الإحسان ويحاولون في هذه الحالة أن ينقلوه إلى مقام " المشاهدة مع رؤية الخلق " وهذا الذي يسمونه مقام البقاء..[2]».

بهذين النصين يظهر لكل ذي عينين أن مقام البقاء هو مقام الجمع مع الفرق أو أن شئت فرق في جمع، فقوله (المشاهدة مع رؤية الخلق) أي مشاهدة الله مع رؤية الخلق، وهذا لا يعني أن هذه المشاهدة تكون لاثنين، وإنما هي مشاهدة الحق في الخلق، بمعنى أن يرى كل شيء هو الحق.

يقول القشيري: «وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة لأن باب المفاعلة في العربية بين اثنين ، وهذا وهم من صاحبه، فإن في ظهور الحق سبحانه ثبور الخلق. وباب المفاعلة جملتها لا تقتضي مشاركة الاثنين...[3]».

---

[1] - "الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية": (ص 125).

[2] - "تربيتنا الروحية" (ص 298).

[3] - "الرسالة القشيرية" (ص 68).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

فالمشاهدة عند الصوفية لا يلزم منها مقام شهود اثنين. فهي عين مقام الجمع أو إن شئت قلت فناء فلا تعارض ولا منافاة، إنما هي أسماء والمسمى واحد. ثم قارن بين كل من تعريف أحمد الصاوي وسعيد حوى لمقام البقاء[1] حيث عرفه الأول بـ: (الجمع والفرق) وعرفه الثاني بـ: (المشاهدة مع رؤية الخلق). فيكون "الجمع" عند الأول هو المراد "بالمشاهدة" عند الثاني، و"رؤية الخلق" عند هذا هي "الفرق" عند ذاك.

وحاصل هذا الكلام أن مقام البقاء عند الصوفية هو مقام أرقى درجة وأرفع منزلة من مقام الجمع. لأن مقام الجمع هو رؤية الحق بلا خلق. ومقام البقاء هو رؤية الحق مع الخلق. بمعنى أن العارف في مقام البقاء أو إن شئت قلت الإحسان يرى الله في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، بعدما كان في مقام الجمع يراه ولا يرى شيئا. وهذا المقام- أي البقاء- هو مقام وحدة الوجود. وهذا المدلول هو المطلوب عقديا عند الصوفية عند استعمالهم لفظ الإحسان.

وخلاصة الأمر أن الفرق: هو رؤية الخلق مع غياب الحق وهو الحال الطبيعي الذي عليه جميع البشر وهذا لا يسمى مقاما.

والفناء: هو رؤية الحق بلا خلق، وهذا حال الفاني عند مقام الجمع أو مقام السكر أو المشاهدة...

والبقاء: هو رؤية الحق مع الخلق وهذا هو مقام الإحسان.

وبعد هذا الفاصل الذي حاولنا من خلاله التعرف على مقام البقاء نرجع إلى كلام ياسين الذي يحدثنا فيه عن رجال الله أهل الطريق إذ قال:« إن العبد لا يعرف الله بنفسه، وإنما تتأتى له المعرفة إن فنى عن وجوده، يقولون إن وجود الحادث الممكن حجاب عن الله، فإذا فنى العبد عن وجوده الحادث كان الله ولا شيء معه». فالذي يمنع العبد من معرفة الله في كلام ياسين هو شعوره بوجود نفسه ووجود الخلق والذي هو الحادث الممكن. وهو نفس ما يصطلح عليه القوم بالآثار والأغيار... فلا تحصل المعرفة له- أي العبد- إلا بفنائه عن الوجود أو الحادث الممكن. يقول القشيري: «وإذا فنى العبد عن توهم الآثار من الأغيار (الحادث الممكن) بقي بصفات الحق، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشاهد من الأغيار ولا أثرا ولا رسما ولا طللا، يقال: أنه فنى عن الخلق

[1] - أشار سعيد حوى في كلامه إلى أن مقام البقاء هو مقام الإحسان وهذا يساعدنا على اكتشاف سر تسمية عبد السلام ياسين كتابه بالإحسان.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

(وجوده الحادث) وبقي بالحق (كان الله ولا شيء معه) [1]». وهذا قول أبي الفيض المنوفي الحسيني: «وإذا فنى العبد عن الأغيار (قلت: وجوده أو الحادث الممكن) كملت معرفته لبقائه مع الحق[2]».

فقول ياسين: (كان الله ولا شيء معه) عند فناء العبد عن وجوده، يعني أن العبد في حال فنائه وعدم شعوره بالوجود لا يشعر إلا بوجود الله. حيث لا يرى نفسه ولا يرى الخلق، لأنه يكون مستغرقا في الواحد الأحد. فقوله (كان الله ولا شيء معه) معناه لا تمييز ولا إثنينية، حيث لم يستطع العبد أن يميز في حال فنائه هذا بين نفسه وبين ربه. فلا ثم تمييز ولا اثنان وإنما هو استغراق في الله وعدم مشاهدة شيء سوى ذات الله. (يوجد عند الحق يمحى ويذوب هنالك ذوبان) كما سلف عن الجيلاني. تذكر قول الغزالي السابق(واستغرقوا بالفردانية... فلم يبق عندهم إلا الله) فقوله (فلم يبق عندهم إلا الله) هو عين قول ياسين (كان الله ولا شيء معه). ومع هذا يأبى ياسين إلا أن يغالط نفسه ويكابر حسه فيدعي أن ما في كتب ابن عربي من القول بوحدة الوجود مدسوس. فمن دسها في كتبك؟ صحيح(من عرف الله كل لسانه).

ولكن نريد أن نعرف من دس قول أبي سعيد الخراز في كتاب الإحسان2 على وضوحه وجلائه في وحدة الوجود؟ وهذا نصه: « إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدا من عبيده فتح له باب ذكره. فإذا استلذ الذكر فتح له باب القرب. ثم رفعه إلى مجالس الأنس به. **ثم أجلسه على كرسي التوحيد. ثم رفع عنه الحجب، وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة. فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوى.** فحينئذ صار العبد زمنا فانيا، فوقع في حظه سبحانه، وبرئ من دعاوي نفسه»[3]. انظر قوله (كرسي التوحيد) طبعا توحيد لكن بلسان الحقيقية كما بينه الغزالي وابن الفارض، أما بلسان المجاز فهو اتحاد. وقوله (الحجب) أو إن شئت الحجاب كما هو قول ياسين والمراد به وجود الحادث الممكن. أما قوله (أدخله دار الفردانية) فهو عين قول الغزالي السابق (واستغرقوا بالفردانية) والمراد هو استشعار العبد بأنه فرد واحد أحد في حال فنائه عن وجوده، كان الله ولا شيء معه وأترك للقارئ تحليل قوله(وكشف

---

[1] - "الرسالة القشرية" (ص 62).

[2] - "معالم الطريق إلى الله" (ص 262).

[3]- الاحسان 2 ص 200

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

له عن الجلال والعظمة) وقوله (فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوى) وكذا قوله (فوقع في حظه سبحانه، وبرئ من دعاوي نفسه).

صدق القائل: فمن يقوده هواه في خزامته فذاك بين ذوي الألباب أضحوكة.

بقي شيء وهو كلام ياسين وحديثه عما حدث له من فتوح الله عليه. حيث قال: «حصل لي ذلك بحمد الله، ومن فضله، الفائض على خلقه ثلاث مرات. في المرتين الأوليين؛ فنيت عن وجودي بوعي ثابت ليس وعيي ولا أتبينه، لم يبق لي وجود ولست أدري كم دام ذلك لأنه أخذني بغتة، ثانية أم دقائق؟ أما في المرة الثالثة فإني فنيت، وكان مع الفناء وعي بوجود الله، وعي ليس وعيي ولا أتبينه. وتلك حالة تقف أمامها الألفاظ عارية مسكينة تضج إلى ربها من قصور الخلق عن إدراك الخالق وتفيئ إلى تنزيه ربنا عز وجل عن الزمان والمكان عن الحين والأين. والفناء شيء غير الغيبوبة تنبيه للغافلين[1]».

هكذا يخبرنا ياسين عن مراحل فنائه، حيث أخذه في الأولى والثانية بغتة ثانية أم دقائق؟ وهكذا يكون في أوله. يقول الغزالي ضمن جوابه عن إشكال كيف يكون الكثير واحدا؟[2]:

«وهذه المشاهدة التي لم يظهر فيها إلا الواحد الحق، تارة تدوم، وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر وعزيز[3]» سبق التنبيه على أن المشاهدة هي مقام الفناء أو مقام الجمع أو السكر أو عدم التمييز.

ثم يسترسل بنا ياسين إلى مرحلة استغراقه في التوحيد- طبعا بلسان الحقيقة- حيث فنى عن نفسه والخلق مع وعيه بوجود الله، فلا تمييز ولا إثنينية في حال فنائه عن وجوده لخروجه عن حكم الكون والخلق، فلا تحيط به طبيعة ولا يحده مكان ولا يحكمه زمان بل ليس هنالك - عند الفناء- كون أو خلق، وبالتالي فلا علو ولا سفل، فمن يعلو على من؟ وليس ثم إلا الله. كان الله ولا شيء معه. تأمل قوله: « وتلك حالة تقف أمامها الألفاظ عارية مسكينة تضج إلى ربها عز وجل من قصور الخلق عن إدراك الخالق، وتفيء إلى تنزيه ربنا عز وجل عن الزمان والمكان وعن الحين والأين..» ثم قابل هذا القول بقول الغزالي: «وإذا ارتفعت الكثرة (قلت: الكثرة هي الفرق)، حققت الوحدة،

---

[1] - الاسلام بين الدعوة و الدولة (ص394)

[2] - انظر المبحث السابق.

[3] - "الإحياء" (328/4).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وبطلت الإضافة (قلت: أي لم يعد محسوبا على الخلق)، وطاحت الإشارة، فلم يبق علو، ولا سفل، ولا نازل ولا مرتفع، فاستحال الترقي، واستحال العروج، فليس وراء الأعلى علو، ولا مع الوحدة كثرة، ولا مع انتفاء الكثرة عروج[1]».

فالحق الذي يجب أن يقال هو أن ياسين كان هذه المرة موضوعيا مع نفسه حيث لم يغالطها، لأن قوله أو قول الغزالي هو الوحيد الذي يصلح نتيجة مناسبة لأصل مذهبه وإلا فإثبات العلو والسفل والزمان والمكان في حال الفناء أو الجمع، هو إثبات للتعدد والكثرة وهذا ينقض بنيان وحدة الوجود من أساسه لأنه يقوم على عدم إثبات الإثنينية وأن الله من حيث الوجود هو عين الموجودات وأنها عين ذاته. فليس ثم علو ولا علي ولا زمان ولا مكان لأنه في حال فنائه ليس ثم غيره (كان الله ولا شيء معه) يقول ابن عربي: «ومن أسمائه الحسنى: العلي على من؟ وما ثم إلا هو فهو العلي بذاته، أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو!! فعلوه لنفسه. وهو من حيث الوجود عين الموجودات. فالمسمى المحدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو. فهو العلي لاعلو إضافة، بأن الأعيان التي لها العدم الثابت فيه ما شمت رائحة من الوجود، فهي على حالها مع تعدد الصور في الموجودات والعين الواحدة في المجموع، فوجود الكثرة في الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية، وليس إلا العين الذي هو الذات فهو العلي لنفسه، لا بالإضافة فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة لذلك نقول فيه: هو لا هو. أنت لا أنت. قال الخراز- وهو وجه من وجوه الحق- ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه، بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر وعين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخراز[2] وغير ذلك من أسماء المحدثات[3]».

عجبا أليس قول ابن عربي هذا هو عين قول الغزالي وعبد السلام ياسين؟

فمن الدساس؟ ومن المدسوس عليه؟

أعلم أنه هو هو وليس ثم غيره أقصد ياسين.

---

[1] - "مشكاة الأنوار" (ص 14).

[2] - أبو سعيد الخراز هذا هو الذي نقل عنه ياسين تفسير قول الله تعالى ﴿كل من عليها فان﴾ في "الإحسان 2" (ص 261). انظر هامش (ص 98) من هذا البحث.

[3] - الفصوص (ص 76- 77)(فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية)

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ثم أمر أخر وهو قوله- ياسين-: «وتلك حالة تقف أمامها الألفاظ عارية مسكينة تضج إلى ربها من قصور الخلق....»

أليس هذا القول هو نفس ما يدل عليه قوله (أي ياسين) حين وصف قول ابن عربي بـ"ما لا يعبر عنه" وبـ"ما لا يسعه القول" وذلك في قوله: «فهو - أي ابن تيمية - يكفر ابن عربي لأن هذا الولي حاول أن يعبر عما لا يعبر عنه...[1]». وكذا قوله: «وإن قال أحدهم ما لا يسعه القول...[2]».

فإذا كان ابن عربي عبر عما لا يعبر عنه، وقال ما لا يسعه القول، معناه أن الكلام كلامه والإنشاء إنشاؤه فلم ادعاء الدس إذن؟!

اللهم إلا إذا كان ياسين يقصد أن الكفر الذي دس عليه هو أعظم من الكفر الذي صرح به؟!

تذكر-قول ياسين-؛ أن الفناء شيء غير الغيبوبة!!

بمعنى أنه شيء غير فقدان العقل!! تنبيه للغافلين على أن المتصوفة ليسوا بسكارى ولا مجانين. فإذا كان هذا هو حالهم فلم يستغفلنا بالاعتذار لهم بأنهم كانوا في حالة سكر؟

أما قوله "وابن تيمية لا يعذر ولا يقبل كلاما"، فهذا ليس جديدا عنه، ولا بأول مرة يصدر منه، فهي وسوسة مسمومة، ونفثة ملغومة تجاه شيخ الإسلام ابن تيمية قصد تزهيد الناس في علمه والإطاحة بأهميته. فهو رحمه الله – ابن تيمية – شوكة في حلوق أهل الأهواء والبدع وخنجر في صدورهم، وسم يقطع أمعاءهم. فلا يهدأ لهم بال إلا بالوقيعة فيه والنيل منه، وحسبنا كتبهم شاهدة عليهم، ويكفيه هذا شرفا إذ لم تجد من بين مبغضيه والحانقين عليه إلا رافضي خبيث، أو جهمي ضال أو خارجي غال، أو صوفي زنديق، أو معطل ملحد أو قبوري مفتون... حسدا من نشاطه في القيام بواجب الدفاع عن السنة النبوية بدحض شبهاتهم وكشف عوراتهم وعوارهم وما من طائفة من طوائفهم إلا وأخرج لها -رحمه الله- سهما من كنانته. ومن كان هذا حاله لا شك في أن يكثر أعداؤه.

---

[1] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص 361).

[2] - نفس المصدر (ص 351).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

وعبد السلام ياسين هذا -أعاذنا الله وإياكم من الزيغ والانحراف- لا يسأم من إثارة المغالطات والشبهات فهو يقدم ابن تيمية دائما وكأنه المتفرد في حكمه الشاذ في موقفه (لا يعذر ولا يقبل كلاما)، «وكان رحمه الله خصما حاد اللسان قاطع القلم، مسرعا إلى تبديع من خالفه وتكفيره[1]»، «...وسل صارمه على كل من تخيل أنه عدو للسنة...[2]»، «وهكذا يقف أمثال ابن تيمية رحمه الله موقف الخصم العنيد من رجال الله فهو يكفر ابن عربي لأن هذا الولي حاول أن يعبر عما لا يعبر عنه[3]».إلى غير ذلك من همزاته ولمزاته، شأنه في ذلك شأن أهل البدع في كل زمان «ومن تشبه بقوم فهو منهم[4]».وصدق من قال: «من علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر[5]».

فرميه لابن تيمية بالتسرع في إصدار أحكام التبديع والتكفير في حق من تخيل أنه من أعداء السنن، يعني عدم التثبت والتريث والتورع في الحكم، وهذا كذب واضح وافتراء فاضح.

فإن ابن تيمية من أورع الناس في التكفير والتبديع، وجهده في حمل كلام الناس على أحسن المحامل وأفضل المخارج أشهر من أن يذكر، وكتبه رحمه الله تعتبر مرجعا زاخرا في بيان شروط وموانع الأحكام حيث قعد القواعد وأصل الأصول وأظهر المشكل وفصل المجمل... وحسبنا قوله: " هذا مع أني دائما ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية؛ إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة، وفاسقا أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية.....وكنت أبين لهم أنما نقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حق؛ لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين. وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة "الوعيد" فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله ﴿إن الذين يأكلون

---

[1] - "تنوير المومنات1" (ص 278).

[2] - "تنوير المومنات1" (ص 279).

[3] - "الإسلام بين الدعوة والدولة" (ص362).

[4] - صحيح. انظر صحيح الجامع الحديث رقم 6025.

5 - "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة".(ج 1 ص 179).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

أموال اليتامى ظلما ﴾ الآية، وكذلك سائر ما ورد: من فعل كذا فله كذا. فإن هذه مطلقة عامة.

وهي بمنزلة قول من قال من السلف: فهو كذا. ثم الشخص المعين يلتغى حكم الوعيد فيه: بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة.

والتكفير هو من الوعيد. فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة. ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة. وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها؛ وإن كان مخطئا.... [1]».

أفبعد هذا الكلام يبقى مجال لعاقل أن يقول أن ابن تيمية لا يعذر ولا يقبل كلاما؟!

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت[2]»

أولم يعد ياسين يخشى الفضيحة واللوم والعار؟

وهل يبقى للمرء شيء يخشى عليه أو منه إذا ما نصب نفسه داعية للضلال وناصرا لأهل الزندقة والإلحاد من أمثال ابن عربي؟!

أما تكفير ابن تيمية - رحمه الله- لابن عربي فهذا شيء لم ينفرد به، خلافا لما يتبادر إلى ذهن القارئ من خلال قراءته لكلام ياسين. وإنما هو صنيع أمة من أهل العلم [3]، فلا أدري ما وجه تخصيصه بالذم دون غيره؟!

ثم اعجب من فعل هذا الرجل -أي ياسين- وبراعته، عند محاولة عرضه الإمام الذهبي للقراء في صورة المعتدل المنصف الذي رد الأمور إلى نصابها من خلال بيانه لأصناف الناس تجاه ابن عربي. حيث نقل ياسين قول الذهبي بعد قوله (أي ياسين): «كان الحافظ الذهبي تلميذ ابن تيمية الشاك المشكك في حديث البخاري (من عادى لي وليا) أكثر اتزانا وإنصافا واعتدالا للشيخ ابن عربي [4]». ثم ثنى بعد ذلك بقول الذهبي الذي مضمونه أن الناس تجاه ابن عربي

---

[1] - مجموع الفتاوى ج 3 ص 231/230/229

[2] - رواه البخاري

3 - انظر كتاب "مصرع التصوف" (للعلامة برهان الدين البقاعي) بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.

[4] - انظر" الإحسان 2": (272-273).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ثلاثة أصناف؛ صنف عد مصنفاته«مروقا وزندقة، وعدها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين، وعدها طائفة من متشابه القول، وأن ظاهرها كفر وضلال، وباطنها حق وعرفان..[1]». ثم بعد هذا اندفع _ ياسين_ معلقا على كلام الذهبي بقوله: « والنص الذي أوردته للذهبي، وهو تلميذ ابن تيمية اللّصيق به، وهو الحافظ الكبير الذي كان ابن حجر يتمنى على الله بلوغ مرتبته يرد الأمور إلى حجمها. فابن عربي تغالى في تعظيمه طائفة جليلة من العلماء عديل ما تغالى ابن تيمية وأتباعه في تجريمه[2]».

وقبل أي تعليق أنصح القارئ بقراءة نص الإمام الذهبي بتأمل دون قراءة تعليق ياسين عليه. ثم ليقرأ نفس النص ثانية مع قراءة ما علق به الأستاذ المرشد ياسين. ولينظر –القارئ- مع المقارنة هل هناك من مقاربة بين ما يتبادر إلى ذهنه من خلال نص الذهبي مجردا دون أي تعليق أو تصرف، وبين ما تبادر إلى ذهنه عند قراءة النص وتوجيه الشيخ المرشد؟.

وبكل جزم فإن نص الإمام الذهبي –رحمه الله- لا يدل مضمونه إلا على بيان أصناف الناس واختلافهم في الحكم على مصنفات ابن عربي، دون أدنى ذكر أو بيان منه –رحمه الله- لموقفه الشخصي من مصنفات هذا الأخير. وهذا لا يساعد القارئ على الوصول إلى تحديد الطائفة التي يلحق بها الإمام الذهبي حكما. وعلى وضوح هذا وجلائه فهو على خلاف ما يشتمل عليه تعليق ياسين من توجيه للقارئ، إلى أن الإمام الذهبي صار على نهج –معتدل- غير نهج شيخه ابن تيمية الذي تغالى في تجريم ابن عربي. وهذا استنتاج إضافي خارج عن مضمون نص الإمام الذهبي ولا علاقة له به البتة.

وإني لأعجب من أين لياسين هذا الاستنتاج وهذا الفهم؟!

وإذا كان الأمر كما زعم ياسين فلم أغفل ذكر نص الإمام الذهبي الذي يتضمن موقفه الصريح من كلام ابن عربي؟.

ولا أدري سبب عدوله عن هذا الأمر ؟

أهو لجهل منه بموقف هذا الإمام من مصنفات ابن عربي؟

---

[1] - " الإحسان 2": (273).

[2] - " الإحسان 2": (273).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

أم هو خبث ومكر ودهاء ؟

وعلى كل حال فبما أن ياسين يرى الإمام الذهبي حافظا كبيرا –وهو كذلك- وأكثر اعتدالا واتزانا وإنصافا، نسوق كلامه ونضع نصه أمامك –أيها القارئ- لتحكم فيه، ولتقول بكل صدق، هل كان ياسين صادقا أم متلاعبا حين عرضه لموقف الإمام الذهبي؟.

وهاك نصه، قال الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" عند ترجمته لابن عربي (من أردإ تواليفه كتاب "الفصوص" فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فوا غوثاه بالله)[1].

وقال أيضا: (ولا ريب أن كثيرا من عباراته له تأويل إلا كتاب "الفصوص")[2].

ومعنى كلام هذا الإمام أن كلام ابن عربي في كتابه الفصوص كفر صريح لا يحتمل التأويل ولا يعادله كفر في الدنيا.

ترى هل سيلتزم ياسين بقوله أن الإمام الذهبي أكثر اعتدالا وإنصافا واتزانا؟

أم سيقول هو كذلك لا يعذر ولا يقبل كلاما؟

والذي يظهر أن ياسين من أبرع الناس في التحريف. وفي هذا كفاية، وكما يقال: (إذا ظهر المعنى فلا فائدة في التكرار) ومما سبق كله يتأكد للقارئ قولنا أن القضية ليست قضية فصوص أو فتوحات، ولاهي قضية ابن عربي والحلاج، وإنما هي قضية مذهب موحد في عقيدته متماسك في سلوكه محكم في برامجه مستقل في أصوله لاتنافي بين أشياخه وأعلامه لأن القوم يستقون من معين واحد كما هو قول ياسين[3]. فلا يغرنك اختلاف عباراتهم. وتعدد أساليبهم، وكثرة مغالطاتهم وحيلهم، وتنوع ألسنتهم، بل ولا استعمال بعضهم لسان أهل الشريعة حفظا لسرهم ووقاية لأنفسهم من غيرهم. وذلك بإطلاق بعضهم القول على أن وحدة الوجود كفر وإلحاد[4]، أو زندقة[5]، واتحاد[6]. لأن هذا كله هو

---

[1] سير أعلام النبلاء ج 23 ص: 48.

[2] سير أعلام النبلاء ج 23 ص: 49.

[3] - "الاسلام بين الدعوة والدولة" (ص 351 – 352).

[4] - كقول السرهندي.

[5] - كقول عبد السلام ياسين. انظر "الإحسان 2" (ص 270).

[6] - كقول الغزالي.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

من قبيل (من عرف الله كل لسانه) و(إياك أن تقول أناه) و(اجعل ظاهرك عبودية)... لأن الصوفي الحق هو من بلغ مرتبة أحدية الوجود ولم يفش سره بل سرهم لغيرهم ومن ضعف عن الكتمان وعبر عما لا يعبر عنه تعرض لحتف نفسه وذلك كما فعل بالحلاج.

وما مؤلفات عبد السلام ياسين إلا جسر من جسورهم وقنطرة من قناطرهم، لما جاءت مشحونة به من ضلالاتهم وكفرياتهم، مما كشف عن سوء معتقده وانحراف طريقه. بل ليس كتاب من كتبه إلا وشر الذي بعده يزداد ويربو، وباطله ينمو ويزكو. مما لا يدع شكا في ضلاله وزيغه. فهو كثيرا ما ينقل عن أسلافه وأشياخه الذين أثر عنهم القول بوحدة الوجود كعبد السلام بن مشيش والشاذلي وأبي العباس المرسي وتاج الدين بن عطاء وأبي نصر الطوسي السراج، وأحمد السرهندي وأحمد الرفاعي وأبي حامد الغزالي وأبي مدين الغوث...

وختاما: فكما مر بنا في الفصل السابق أن المريد الصادق هو من يبتدئ طريقه إلى الله بعبادة شيخه. فإنه يتقرر في هذا الفصل أن الشيخ الكامل والعارف الواصل عند الصوفية هو من انتهت به مجاهدته بانتقاله من مقام إلى مقام في تلك الطريق إلى مرتبة أحدية الوجود. وهذا حين استشعاره بأسماء الله واستغراقه في صفاته سبحانه. -تعالى الله عما يقول أهل الزندقة علوا كبيرا -.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لتكن هذه آخر محطة – إن شاء الله تعالى – مع عبد السلام ياسين، وهي وقفة إضافية خارجة عن إطار البحث. تنبيها للقراء على فرط افترائه على شيخ الإسلام ابن تيمية، وادعائه في أكثر من كتاب أنه يقول - أي ابن تيمية- بـ"الاتحاد في معين". انظر مثلا كتابه تنوير المومنات[1]، وكتابه "الإحسان 2" حيث يقول في هذا الأخير:«نفى(أي ابن تيمية) المقالة بالحلول المطلق وأدانها بشدة، لكنه اخترع مقالة غريبة شنيعة سماها (الاتحاد المعين)[2]» وكذا قوله: «ويكرر ابن تيمية في فتاويه المنشورة بهذا الجزء الثاني مرات كثيرة أنه يعترض على الاتحاد والحلول المطلق ليثبت ما سماه في أبجديته الجدلية حلولا واتحادا معينا [3]».

وللتأكد من هذا الذي ادعاه ياسين ظلما وسطره في كتبه بغيا. إلا أن ينظر المنصف بنفسه في صفحات المجلد الثاني من مجموع الفتاوى[4]. وسيجد تحقيقا أن ابن تيمية قسم الاتحاد والحلول إلى باطل وحق. تحريرا منه للفظ، وبحثا عن محمل حسن يحمل عليه كلام من نطق- ممن أحسن بهم الظن- بمثل ما نطق به أهل الوحدة.

فأما الباطل منه فقد قسمه- رحمه الله – قسمة رباعية؛ اتحاد خاص، حلول خاص اتحاد عام، حلول عام. ويصطلح تارة على الخاص بالمقيد والمعين. كما يصطلح على العام بالمطلق. وكل الأقسام الأربعة هذه عنده رحمه الله كفر بالله.

أما الاتحاد الحق فهو قسم غير الأقسام الأربعة السابقة، ويسميه تارة الاتحاد الوصفي وتارة أخرى الاتحاد الحكمي النوعي وهذا هو الاتحاد السائغ عنده رحمه الله.

وإليك قوله في نوع الاتحاد الذي نسبه إليه ياسين وهو "الاتحاد في معين " حيث قال رحمه الله- بعد ذكره للنوع الأول (الاتحاد والحلول المطلق)" أما النوع الثاني: فهو قول من يقول بالحلول والاتحاد في معين، كالنصارى الذين قالوا بذلك في المسيح عيسى، والغالية الذين قالوا بذلك في علي ابن أبي طالب وطائفة من أهل بيته، والحاكمية الذين

---

1 - (ج 1/288- 294.) (40/2).

2 - "الإحسان" (2 ص 271).

3- "الإحسان" (2 ص 272).

4 - انظر مثلا: (171- 172) (338-339-340) (367-368) (373-374) (387- 389) (461-465).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

يقولون بذلك في الحاكم، والحلاجية الذين يقولون بذلك في الحلاج، واليونسية الذين يقولون بذلك في يونس، وأمثال هؤلاء ممن يقولون بإلاهية بعض البشر، وبالحلول والاتحاد فيه، ولا يجعل ذلك مطلقا في كل شيء.

ومن هؤلاء من يقول بذلك في بعض النسوان والمردان، أو بعض الملوك أو غيرهم؛ فهؤلاء كفرهم شر من كفر النصارى الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم.

و أما الأولون فيقولون بالإطلاق (قلت أصحاب الاتحاد والحلول العام وقد ذكرهم في النوع الأول) ويقولون: النصارى إنما كفروا بالتخصيص.

وأقوال هؤلاء(قلت: أصحاب الإطلاق) شر من قول النصارى، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى؛ ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه؛ ولهذا يلبسون على من لا يفهمه. **فهذا كله كفر باطنا وظاهرا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين**)[1] فهل يجرؤ عاقل بعد اطلاعه على مثل هذا البيان أن يقول ان ابن تيمية يقول بالاتحاد في معين.

لعل الذي أوقع ياسين في هذا الافتراء، حقده على شيخ الإسلام. وما كنت أظن أن يصل به-حقده- إلى قلب المحاسن مساويا. وما يدرينا لعلها كرامة من كراماته[2].خاصة- كما في حدود علمي- أنه لم يقل ببهته هذا أحد قبله من المتصوفة، ولا أعتقد أنه سيجرؤ على تبنيه أحد بعده.

وإتماما للفائدة أنقل للقارئ بيان ابن تيمية حول الاتحاد السائغ، إشارة منه - رحمه الله- إلى حصول نوع موافقة بين العبد والرب في المحبوب والمكروه. خلافا لما حاول ياسين التشويش به على القراء.

يقول ابن تيمية:« وإن كان المتكلم بهذا البيت(قلت: يريد بيت شعر سئل عن حكم ناظمه) أراد به الاتحاد الوصفي: وهو أن يحب العبد ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويرضى بما يرضي الله، ويغضب لما يغضب الله، ويأمر بما يأمر به الله، وينهى عما ينهى عنه الله، ويوالي من يواليه الله، ويعادي من يعاديه الله، ويحب لله، ويبغض لله، ويعطي لله، ويمنع لله؛ بحيث يكون موافقا

---

[1] - "مجموع الفتاوى": (ج 367/2 – 368)

[2] - ليس غريبا أن يكون الكذب كرامة من الكرامات عند الصوفية فقد ثبت عن بعضهم كرامة كشف العورة وذلك ككرامة إبراهيم العريان الذي كان يصعد المنبر ويخطب **عريانا**. انظر (طبقات الشعراني 144) وانظر (الابريز 207) لترى كرامة السرقة لمنصور القطب إلى غيرها من كرامات الصوفية.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

لربه تعالى.فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله...[1]». وقال في موضع آخر: « فالعبد المؤمن إذا أناب إلى ربه، وعبده ووافقه حتى صار يحب ما يحب ربه، ويكره ما يكره ربه، ويأمر بما يأمر به ربه، وينهى عما ينهى عنه ربه، ويرضى بما يرضى ربه، ويغضب لما يغضب له ربه، ويعطي من أعطاه ربه، ويمنع من منع ربه، فهو العبد الذي قال فيه النبيﷺ فيما رواه أبو داود من حديث القاسم عن أبي أمامة: (من أحب لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)، وصار هذا العبد دينه كله لله، وأتى بما خلق له من العبادة.

فقد اتحدت أحكام هذه الصفات التي له وأسبابها بأحكام صفات الرب وأسبابها.

وهم في ذلك على درجات؛ فإن كان نبينا كان له من الموافقة لله ما ليس لغيره، والمرسلون فوق ذلك ، وأولو العزم أعظم، ونبينا محمدﷺ له الوسيلة العظمى في كل مقام. **فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ....[2]**».وانظر قوله المنقول سابقا :«فولي الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه، والمأمور والمنهي ونحو ذلك، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، وولي الحق وليه، وعدو الحق عدوه..[3]». وكذا قوله _

«والعبد العارف بالله تعالى من تتحد إرادته بإرادة الله بحيث لا يريد إلا ما يريد الله أمرا به ورضى، ولا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، ولا يلتفت إلى عذل العاذلين، ولوم اللائمين...[4]».

ما كنت أريد أن يصدر من عبد السلام ياسين هذا الذي صدر منه ولكن صدق من قال:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وخلاصة ما قاله ياسين في هذه القضية جملة أنه بهت وكذب واختلاق.

و يا لها من مصيبة حين يهون الكذب على مثل ياسين – الولي!- وهو يعلم يقينا قول رسول اللهﷺ:«إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب، حتى يكتب عند الله كذابا [5]».

وكفاه هذه ما هو فيه من فتنة في الدين.

---

[1] - "مجموع الفتاوى" (340/2).

[2] - "مجموع الفتاوى" (388/2-389).

[3] - "مجموع الفتاوى" (2 / 373).

[4] - (ج 11 ص 75- 76 – 77).

[5] - متفق عليه.

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

خـاتـمـة

أعلم أنه قد انبرى للرد على عبد السلام ياسين جماعة من العلماء. بينوا له أخطاءه وكشفوا اعوجاجه ونصحوا له سرا وعلانية. قياما منهم بواجب النصح، وللأسف الشديد لم يظهر منه أدنى استعداد لقبول الحق والتخلي عن سبل البدعة والضلال. بل لم يزده نصحهم ودعاؤهم له إلا استكبارا وهجوما وعدوانا. فهو لم يعترف ولو بخطئ واحد _من ركام أخطائه_ في كل ما وجه له من نصح. بل حتى هذا الجانب لم يسلم من مغالطاته ومراوغاته، فتجده يعرض لقرائه على ظهر كتابه الإحسان (1-2) مقالة قديمة له، تودد إليهم واستعطافا لهم وطلبا لإحسانهم فيبدو في صورة المظلوم المستضعف طمعا في استدراجهم إلى حزبه وإسقاطهم في شباكه؛ إذ يقول: «تلك النقول ألزمني بعض الناس ما لم يلزم كفرني بعضهم بأني ذكرت فلانا وفلانا فلم أكفر أحدا، واستخرفني[1] آخرون لحديثي عن الغيب والكرامات... ».

ولنا أن نتساءل. هل صحيح أن عبد السلام ياسين اكتفى بذكر فلان وفلان؟

أم أنه تجاوز به الأمر إلى حد الاستدلال بكلامهم وضلالهم وكفرياتهم احتجاجا بهم وتقريرا لهم ورضا عنهم. نصحا لقرائه؟! مما يدل على قناعته وإيمانه بما يؤمنون به.

وعلى كل حال فنصيحتي لعبد السلام ياسين إن كان صادق اللهجة، أن يتقي ربه ويصلح مآله ويدرك نفسه بإظهار مذهب السلف وتبنيه فهما وعملا. مع البراءة مما سطره في كتبه من أقوال أهل الزندقة والإلحاد. توبة نصوحا منه إلى الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ولينظر إلى تقدم سنه ووهن عظمه واشتعال رأسه ولحيته شيبا، وليتذكر سعة فضل الله عليه، وحبه سبحانه توبة عبده. وليحذر – ياسين – عزة نفسه بالإثم، وردود فعلها، واستكبارها، فالحذر الحذر، ورحم الله امرءا عرف الحق فاتبعه ويزغ له الخطأ فعدل عنه.

فإن أبى إلا العناد. فليتأمل نصيب إثمه فإنه «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا[2]» يقول الله تعالى:

---

[1] - ذكر صاحب كتاب (الجهل والإجرام في حزب العدل والإحسان) في (ص 116) من كتابه. أن الذي كفر ياسين هو الشيخ تقي الدين الهلالي والذي استخرفه هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.

[2] - "صحيح مسلم"(الحديث 2674).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾[1].

أما مريدوه فهم إخواننا نعلم يقينا انهم يشاركوننا في طريق التوبة إلى الله والإنابة إليه، حبا في رضاه وطمعا في جوار نبيهﷺ يوم القيامة. ومن كان هذا حاله فهو أكبر من أن يتعصب لرجل – لا تؤمن عليه الفتنة- إن آمن آمن وإن كفر كفر. وهو أجل من أن ينتصر لأحد انتصارا مطلقا إلا لرسول اللهﷺ، ونعلم اليقين أنه لولا هذه الحزبيات الضيقة التي فرقت صفنا، وهذه الزعامات الوهمية التي شتت شملنا واستغلت جهلنا. لكنا على درب واحد. فاحذر -أيها الأخ- أن تجعل مصيرك من مصيره وشق طريق الحق وضم صوتك إلى صوت أهل السنة. فلا عليك أن يمتثل ياسين أو يتعصب، فإياك ثم إياك، فإن كنت من أهل الغفلة والغفوة فانتظر يوم الحسرة ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون﴾[2]: وتذكر قوله تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾[3] وفي هذا كفاية.

وخلاصة القول: أن التصوف ليس كما يظن كثير من الناس وعوامهم؛ جوع وزهد ورقاع وخلوة وخرقة وزاوية... وإنما هو أصول تربوية وقواعد عقدية من التزم بها كان صوفيا.

أسأل الله العظيم أن يهدي بهذا البحث أقواما لقبول الحق والرجوع إليه، وأن يعصمني وإخواني بدينه وسنة نبيه من الاختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبل الضلالة، ومن شبهات الأمور، ومن الزيغ والخصومات. ومن غوائل البدع وشرور أهلها. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين.

كتبه: أبو عبد الرحمن ذو الفقار بلعويدي

وكان الفراغ منه بالقنيطرة في 02 رمضان من عام 1423 هـ

الموافق لـ8 نونبر 2002

---

[1] - (سورة للنحل الآية 25).

[2] - (سورة الدخان الآية 41).

[3] - (سورة البقرة الآية 166-167).

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

فهرس

تقديم الشيخ الفاضل أبي أويس محمد بوخبزة الحسيني 5
مقدمة الكاتب 9
الفصل الأول 13
المبحث الأول: مصطلحات الصوفية بين علم الشريعة وسر الحقيقة 15
المبحث الثاني: مناقشة مفهوم العارف بالله عند الصوفية 23
المبحث الثالث: الصحبة عند الصوفية تربية أم ربوبية؟ 28
المبحث الرابع: مفهوم التأدب والاحترام عند الصوفية خدمة أم عبودية؟ 33
الفصل الثاني 43
المبحث الأول: كشف تلبيس عبد السلام ياسين ورد عدوانه على أهل الحديث 45
المبحث الثاني: حديث الولاية بين فقه المحدثين وانحراف المتصوفين 60
المبحث الثالث: العقيدة الصوفية سر خفي وكفر جلي 75
المبحث الرابع: بين ابن عربي وعبد السلام ياسين 92
الكذبة الياسينية 118
خاتمة 121
الفهرس 123

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

طوب بريس
22، زنقة كلكوتة - المحيط - الرباط
الهاتف: 037.73.31.21 - الفاكس: 037.26.39.28
البريد الإلكتروني: toppress@wanadoo.net.ma

::::>>> www.khorafa.org <<<::::

ما منا إلا من يعتز بآبائه وأشياخه، ويعز عليه أن يتبين أنهم كانوا على باطل، ولكن أقل ما يجب علينا أن نعلم أن آباءنا وأشياخنا لم يكونوا معصومين، وهب أنه يبعد عندنا جدا أن يكونوا تعمدوا الباطل، فما الذي يبعد أن يكونوا غلطوا وأخطأوا؟ وعلى كل حال فليسوا إلا أفرادا من المسلمين، وقد اختلف المسلمون، وفي الفرق الأخرى أئمة وأكابر إن لم يكونوا أفضل من آبائنا وأشياخنا فلم يكونوا دونهم، وإذا راجعت نفسك علمت أنك لست بأحق من مخالفك بالقناعة بما مضى عليه الآباء والأشياخ، وأنه كما يحتمل أن يكون آباؤه وأشياخه هم المبطلين عمدا أو خطأ فمن المحتمل أن يكونوا هم المحقين، بل الحق أنه لا حق لك ولا له في التضحية بالنفس والدين في سبيل التعصب الفارغ الذي يعود بالخسران المبين... فدع الآباء والأشياخ، والتمس الحق من معدنه، ثم إن شئت فاعرض عليه مقالة آبائك وأشياخك فما وافقه حمدت الله تعالى على ذلك، وما خالفه إلتمست لهم العذر برجاء أن يكونوا لم يتعمدوا الباطل.

من كلام العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، أنظر كتاب "القائد إلى تصحيح العقائد" بتعليق الشيخ الألباني - ص202.